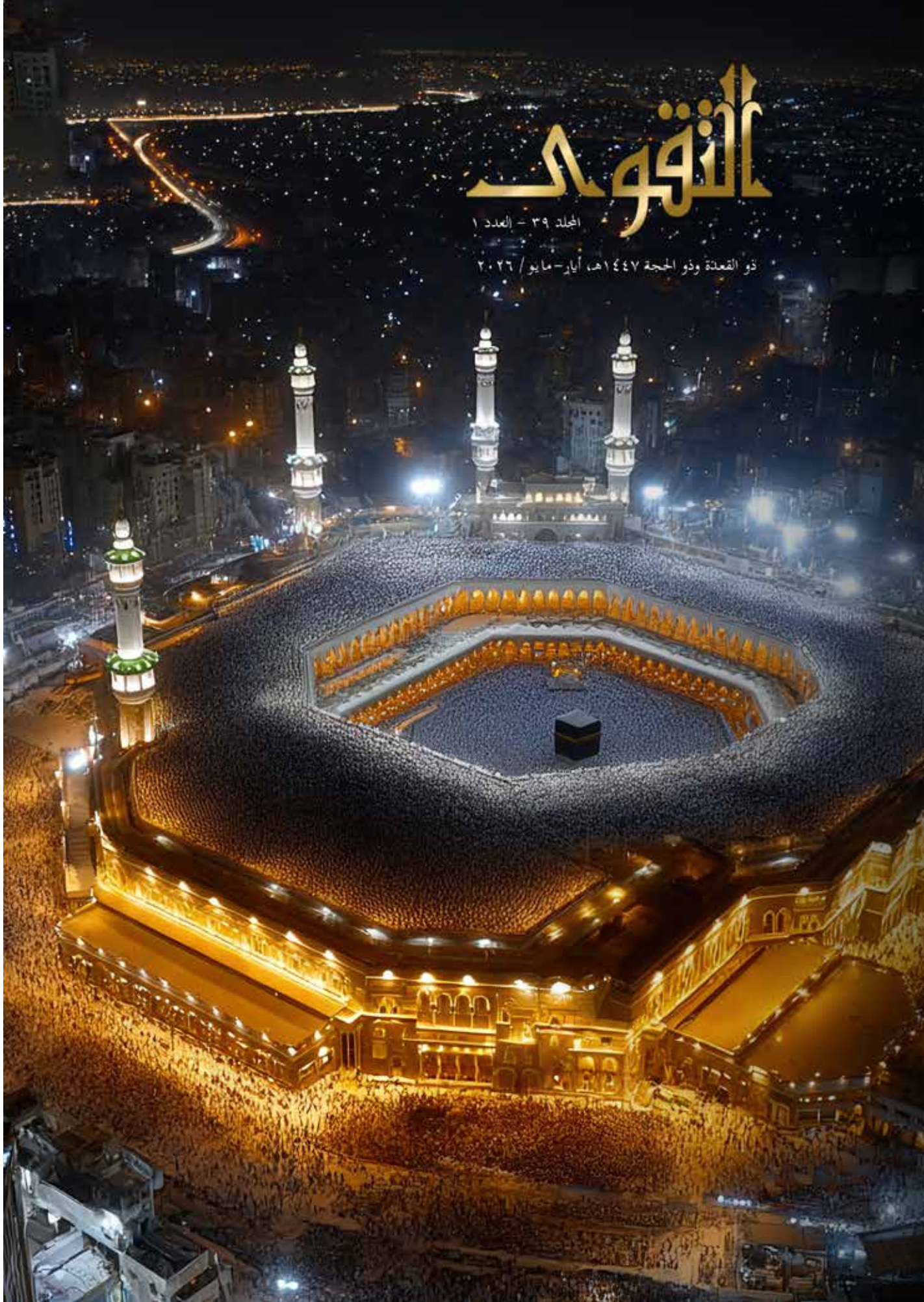


المجلد ٣٩ - العدد ١

ذو القعدة وذو الحجة ١٤٤٧هـ، أيار- مايو/ ٢٠٢٦

**إسلامية شهرية**

تصدر عن

المكتب العربي

بالجماعة الإسلامية

الأحمدية العالمية،

المملكة المتحدة

**رئيس التحرير**

أبو حمزة التونسي

**هيئة التحرير**

عبد المؤمن طاهر

عبد المجيد عامر

محمد طاهر نديم

محمد أحمد نعيم

مير أنجم برويز

**الهيئة الإدارية**

نصير أحمد قمر

منير أحمد جاويد

عبد الماجد طاهر

**مشرف الموقع**

نفيس أحمد قمر

**الاتصالات:**

Al Taqwa,
22 Deer Park Road,
London SW19 3TL,
United Kingdom

e: info@altaqwa.net

الاشتراك السنوي ٢٠ جنيها استرلينيا
أو ما يعادل ذلك بالعملة الصعبة
تكتب الحوالات المصرفية والبريدية
باسم ASI Ltd

© جميع الحقوق محفوظة
للشركة الإسلامية الدولية

ISSN 1352 - 9463

لا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّٰهِ

"التقوى" النسخة الإلكترونية

altaqwa.net

**مواد دينية، ثقافية،**
**تاريخية وعلمية في غاية الأهمية.**

**إخـــلاء المســـؤولية:** تبـذل مجلـة التقـوى جهدهـا لضـمان دقـة المعلومـات والمـواد المنشـورة عـبر منصاتهـا، والتـي هـي نتـاج سـعي كاتبهـا إلى إبـداء وجهـة نظـره انطلاقـا مـن أسـس الجماعـة الإسـلامية الأحمديـة التـي لا يملـك حـق تمثيلهـا سـوى سـيدنا المسـيح الموعـود والإمـام المهـدي (عليـه الصـلاة والسـلام) ومـن بعـده خلفائـه الأطهـار حـصرًا، فتحظـى المـادة بالموافقـة عـلى النـشر بقـدر مـا يوفَّـق كاتبهـا للبحـث والتمحيـص، إلا أن مجلـة التقـوى لا تقـدم أي ضـمان صريـح أو ضمنـي حـول مـا تنـشره مـن مـواد، وإن كانـت تسـعى بنفسـها للتأكـد مـن دقتهـا. لـذا فـإن أي خطـأ قـد يصـدر مـن الكاتـب فهـو عـلى مسـؤوليته الشـخصية، ولا تُحَمَّـل الجماعـة الإسـلامية الأحمديـة أو إدارة «التقـوى» تَبِعَاتـه.

# المحتويات

مايو 2026 | المجلد 39 | العدد 1

ذو القعدة وذو الحجة 1447 هـ أيار - مايو 2026

2 | **كلمة التقوى**
الحج والخلافة.. وحدة القبلة، ووحدة القيادة

4 | **في رحاب القرآن**
عبادة الأصنام، بين طلب العزة وحقيقة الخزي

8 | **من نسائم الروضة النبوية الشريفة**
النبوة والخلافة وتجديد الدين

9 | **هكذا تكلم المسيح الموعود**
فضل أولياء الرحمٰن

10 | **أبو بكر الصديق وتحقق وعد الاستخلاف له بكل لوازمه** خطبة الجمعة ٢١/ ٢/ ٢٠٢٥

18 | **الحج.. رحلة العشق الإلهي في مدارج الترقي الروحي** نفيس أحمد قمر

21 | **مناجاة مشتاق** (قصيدة)
عيسى الحاج رحمون

22 | **هل اقتربنا من الالتقاء بغرباء من خارج الكوكب**
محمد العاني

26 | **قراءة في كتاب "إحياء الإسلام"**
صلاح مصباح

30 | **النرجسية، والسقوط في شباك الذات**
د. ثمر حفيظ

35 | **العطاء يرزقك الثراء**
مريم شرف الدين

الخلافة الراشدة على منهاج النبوة هي السبيل المصيري الأخير المنوط به نهضة الأمة ووحدتها، وكل سعي بعيدًا عنها مآله إلى الغرق، فهي سفينة نوح الباقية إلى هذا الزمان. وإذا كانت هي النظام الرباني المعني بوحدة الأمة، ففي أداء فريضة الحج كل عام تذكير بتلك الوحدة المنشودة، وبالنظام العامل على ترسيخها.

# الحج والخلافة. وحدة القبلة، ووحدة القيادة

**مما** أصبح مُتَّفَقًا عليه أنه لا يتسنَّى لأية جماعة إنسانية أن تبلغ غاياتها المنشودة دون رأس يدبّر شأنها، حيث إن أمة بلا قيادة هي كمثل جسد بلا روح، وعرضة للتلاشي أمام أول ريح عاصفة. وإذا كانت القيادات الدنيوية تُبنى على مصالح آنية وتزول بزوال شخوصها، فإن نظام الخلافة الروحية استمرار لفيض النبوة، وذلك النظام الرباني هو الكفيل بتبديل الخوف بالأمن كما نصَّت على ذلك آيات الوعد الإلهي في سورة النور من قول الله ﷻ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1]. إن هذا الاستخلاف ليس تشريفًا لشخص ما بشغل منصب ما، بل هو تمكين للدين الذي ارتضاه الله، وتحقيق لغاية الخلق في عبادة الله وحده بلا شريك. إنَّ قراءة تاريخ نظام الخلافة في أمة خاتم النبيين ﷺ، من شأنها أن تدلّنا على ملاحظة عجيبة، وهي أن تاريخ الخلافة الراشدة الأولى على منهاج النبوة بدأ بفتنة، وانتهى بفتنة، إذ كانت البداية مع فتنة الردة، والتي افتتح حضرة أبي بكر الصديق ﷺ عهده المبارك بمكافحتها واجتثاثها من أصلها. ثم كانت النهاية مع وقائع الفتنة الكبرى، ووراء تلك الملاحظة العجيبة تكمن حكمة بالغة، فالفتنة الأولى، أي فتنة الردة، اجتازتها الأمة بسلام، على الرغم من ضراوتها، ذلك لأنها انتظمت في سلك الطاعة لخليفة وقته، بينما لم تجتز الفتنة الثانية، لما شقت عصا الطاعة لخليفة الوقت. السر إذن يكمن في الطاعة، الطاعة تحديدًا.

فالفتن إذن ليست مجرد حوادث مؤلمة، بل هي الخروج عن سلطة الحاكم وإحداث الفساد الذي يُخل بأمن البلاد. لقد كانت فتنة الردة هي الاختبار الأول الذي أثبت أن نجاة الأمة يكمن في التشبث بأهداب نظام الخلافة؛ فحين تزلزل كيان الدولة الناشئة بوفاة النبي ﷺ، كان أبو بكر الصديق ﷺ هو الربَّان الذي رسا بسفينة الإسلام على بر الأمان.

هذا الدرس التاريخي هو ما نفتقده اليوم؛ فالمسلمون حين أعرضوا عن توجيهات الخلافة الراشدة في عصورهم المتأخرة، فقدوا البوصلة وتجرعوا مرارات الهزائم في قضاياهم المصيرية المعاصرة، أَبَقِيَ بعد كل الدروس شك في أن الخلافة هي عين السفينة التي تركتها العناية الإلهية في كل زمان ليدّكر من يشاء النجاة من طوفان الفتن؟ يقول ﷻ: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾.

يكمن الخطأ التاريخي الفادح في محاولة تسييس مقام الخلافة وتحويله إلى ملك عضوض أو دكتاتورية دنيوية. إن المسيح الناصري عليه السلام حين أعلن أن مملكته ليست من هذا العالم، لم يكن ينسحب من الواقع، بل كان يضع النقاط على الحروف؛ فرجال الله لا يُبعثون لمنازعة الملوك كراسيهم، بل لتربية النفوس. وهذا ما غاب عن المفكرين الذين حاولوا فصل الدين عن الدولة كحلٍ للأزمات، بينما الحل يكمن

في إدراك أن الخلافة الحقيقية هي خلافة نبوية ونيابة ظلِّيَّة، تهدف إلى إصلاح باطن الإنسان قبل ظاهره، ونشر قيم السلام والمعايشة بعيدًا عن دهاليز السياسة المظلمة.

وحين ننظر في داخل هيكل نظام الخلافة، تستوقفنا العلاقة التي تربط المؤمن بنظام الخلافة الراشدة ومقامه السامي، وهي علاقة عجيبة حقًّا، حيث تتجاوز أطر القوانين الوضعية؛ إنها علاقة حب متسلسل، إذ يبدأ من حب شخص الخليفة بسبب حبه الصادق للنبي ﷺ، والذي أُمرنا بحبه للوصول إلى حب الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ.﴾[٣]، فطاعة الخليفة ليست انصياعًا قسريًّا، بل هي ظل الحب الذي تضمره القلوب وتُظهره لله ﷻ ورسوله ﷺ؛ فكما أن الظل لا يمكنه بحال أن يستقل عن الأصل، فكذلك المحب لا ينفك عن طاعة محبوبه.

ذلك لأن الاصطفاء الإلهي للخليفة يجعل منه قناة للفيوض الربانية، وهنا تصبح الطاعة وسيلة لذبح أهواء النفس وكبح ثوائرها، والوصول إلى الفناء في حضرة الله. فإن أي خطة أو مشروع للجماعة محكوم عليه بالفشل ما لم تُنفَخ فيه روح الانقياد التام لخليفة الوقت، لأن بركة العمل تكمن في وحدة الكلمة التي يمثلها هذا المقام.

إن المتأمل في تزامن صدور هذا العدد مع حلول موسم حج بيت الله الحرام، يدرك أنَّ ثمة خيطًا ناظمًا يربط بين رُكن الحج بكافة شعائره من جانب، ونظام الخلافة من جانب آخر؛ فالحج في جوهره هو إعلان عملي عن وحدة الأمة واجتماعها على صعيد واحد، وهي الغاية ذاتها التي يمثلها مقام الخلافة بوصفه الضرورة القصوى لصون وحدة الأمة. وكما أن الحجيج يلبون نداءً واحدًا، ويولُّون وجوههم شطر قبلة واحدة تذوب معها الفوارق، فإن نظام الخلافة يعمل كقناة للفيوض الربانية التي تصهر إرادات المؤمنين في وحدة الكلمة. إن الحج يمثل الجانب الشعائري من التمكين للدين، بينما تمثل الخلافة التجلّي العملي والقيادي لهذا التمكين، حيث لا يتسنى لأية جماعة إنسانية بلوغ غاياتها دون رأس يتولى أمرها. فإذا كان الحج هو آية الاجتماع البدني حول بيت الله، فإن الخلافة هي السفينة التي تُقِلُّ هذا الجمع في خضمّ الاضطرابات والضلالات ويدير دَفَّتَهَا رُبَّانٌ واحد. ومن هنا، تصبح الطاعة للخليفة ونظام الخلافة هي ذاتها روح التلبية في الحج؛ فكلاهما انقيادٌ للمحبوب، وكلاهما وسيلة لذبح أهواء النفس الأمارة، ومن ثمَّ الوصول إلى الفناء في حضرة الله ﷻ.

فارتكازا على موضوع الاستخلاف، وبمناسبة الذكرى السنوية الثامنة عشر بعد المائة لقيام الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة في الجماعة الإسلامية الأحمدية، التي صُنِعت على عين الله ﷻ، يطيب لأسرة التقوى اتخاذ خطوة في إصلاح الخطأ التاريخي الفادح، والمتمثِّل في محاولة تسييس مقام الخلافة وتحويله إلى ملك عضوض أو دكتاتورية دنيوية. وفي خطبة سيدنا أمير المؤمنين (أيده الله) نطلع على جانب من تدابير الله ﷻ التي أهلت أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ بحيث تَحَقَّقَ له وَعْدُ الاسْتِخْلَافِ هُ بِكُلِّ لَوَازِمِه. وكذلك نطَّلع على شيء من النتاج الفكري لخلفاء جماعة المؤمنين في القضايا الدينية والعلمية. كما لا يسعنا إغفال ركن حج بيت الله الحرام، الذي يتزامن صدور عدد مايو ٢٠٢٦ مع حلول موسمه المبارك. فندعو الله ﷻ أن يبارك لنا في نظام الخلافة الرباني، ويعيننا على الانخراط في سلك الطاعة المعروفة، آمين.

**الهوامش:**

١ – (النور: ٦٥)

٢ – (القمر: ٦١)

٣ – (آل عمران: ٢٣)

# عبادة الأصنام بين طلب العزّة وحقيقة الخزي

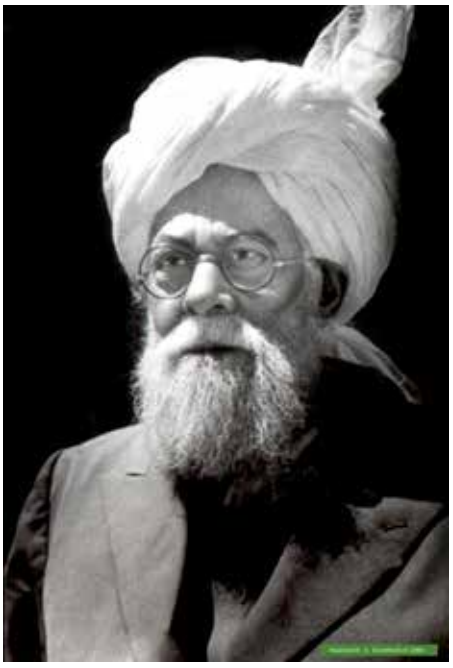

حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد ﷺ
الخليفة الثاني للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ

وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨٢﴾

كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٣﴾

﴿**واتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا**﴾ (مريم ٨٢)

**شرح الكلمات:**

**عِزًّا**: العِزُّ خلافُ الذلّ (الأقرب).

**التفسير:**

يتضح من دراسة تاريخ عَبَدة الأصنام أن من أكبر أسباب اتخاذ الأصنام هو الرغبة في العزة والشهرة بين الناس. فكانوا يصنعون الأصنام كبيرة ضخمة مثلما صنع المصريون «أبا الهول»، حيث يبلغ طوله مئات الأقدام، وقد اشتهر في العالم كله، ويزوره السياح من أقطار نائية، ويصابون بالدهشة برؤيته. وهذا يعني أنهم لم يكونوا يصنعون الصنم فقط، بل كانوا يصنعونه ضخمًا هائل الحجم حتى تنجذب إليه الأنظار تلقائيًا، ويقول الناس إنه صنم عظيم. أو كانوا يبنون لها معابد ضخمة تصيب الناس بالهول والحيرة. ثم إنهم كانوا يقيمون لهذه الأصنام حفلات وأعراسًا وينفقون عليها الآلاف من المال، تفاخرًا أمام الأمم المجاورة. فمثلاً قد صنعوا بالهند صنم «سومنات» بإنفاق الملايين. وعندما يرى الرائي عيونه المصنوعة من الماس، ويرى على رأسه تاجًا، وفي يده مقامع ذهبية، وأنه طويل القامة حتى يصل إلى السقف، يقول في نفسه إن ما عند هذا الصنم من ذهب وفضة وألماس وغيرها من الثروة والمجوهرات لا يمكن أن يكون بحوزة أجيال وأجيال من أولادي، فيمتلئ قلبه رعبًا وهيبة، ولا يملك إلا أن يقر بعظمة القوم الذين اتخذوا هذا الصنم الهائل. فبما أن هؤلاء يصنعون الأصنام هائلة ضخمة، ثم يتفاخرون على جيرانهم بما أنفقوا عليها من أموال طائلة، فإنهم يزدادون عزًّا وعظمة بين الناس، ولذلك قال الله تعالى هنا ﴿واتخذوا من دون الله آلهةً ليكونوا لهم عزًّا﴾ لينبه إلى أنهم ليسوا بحاجة إلى أن

**فبما أن هؤلاء يصنعون الأصنام هائلة ضخمة، ثم يتفاخرون على جيرانهم بما أنفقوا عليها من أموال طائلة، فإنهم يزدادون عزًّا وعظمة بين الناس، ولذلك قال الله تعالى هنا ﴿واتخذوا من دون الله آلهةً ليكونوا لهم عزًّا﴾ لينبه إلى أنهم ليسوا بحاجة إلى أن ينفقوا شيئًا على الله تعالى لأنه موجود منذ الأزل، وإنما يصنع هؤلاء الأصنام الفخمة، وينفقون عليها الذهب والفضة والأحجار الثمينة ويبنون لها المعابد الكبيرة المزخرفة طمعًا في العزة والشهرة وتفاخرًا بين الناس**

ينفقوا شيئًا على الله تعالى لأنه موجود منذ الأزل، وإنما يصنع هؤلاء الأصنام الفخمة، وينفقون عليها الذهب والفضة والأحجار الثمينة ويبنون لها المعابد الكبيرة المزخرفة طمعًا في العزة والشهرة وتفاخرًا بين الناس. وعلى النقيض انظروا إلى المساجد في الإسلام كم هي بسيطة! فلكم تتميز الكعبة المشرفة بطابع البساطة! وكم هي بسيطة روضة رسول الله ﷺ! وليس صعبًا على المرء أن يدرك أن كل من يدخل المسجد الحرام إنما يدخله من أجل العبادة خالصة، وليس لأي شيء آخر إذ لا توجد فيها أي أحجار كريمة ولا مجوهرات ولا ذهب ولا فضة. كذلك من يذهب لزيارة قبر الرسول ﷺ للدعاء إنما يزوره بمشاعر الحب والاحترام فحسب، وليس لأن يرى هناك مبنى عاليًا رائعًا. من المؤسف أن المسلمين قد جعلوا المساجد الآن مدعاة للفخر والمباهاة. فيبنون المساجد الفخمة رياءً وتفاخرًا، وينفقون على زخرفتها الملايين، بغض النظر عما إذا كان هناك بالفعل حاجة إلى المسجد أم لا، وهل يصلي فيه أحد أم لا. لقد ذهبت لزيارة مسجد جامع بمصر، فوجدت لفيفًا من الناس لا يتجاوز عددهم الأربعة أو الخمسة يصلون جماعة في زاوية منه بعيدًا عن المحراب. ولما فرغوا من الصلاة سألتهم هل تأخرتم عن الصلاة بالجماعة حيث تصلون الآن؟ قالوا كلا، بل هذا هو إمام هذا الجامع وهؤلاء هم المأمومون. قلت: فلم تركتم المحراب، وصليتم بعيدًا عنه في زاوية منه. قالوا هذا هو عدد المصلين هنا، فنخجل أن نصلي نحن الأربعة فقط وراء الإمام في محراب هذا الجامع الكبير، فنؤدي الصلاة في زاوية منه، حتى إذا رآنا أحد ظن أن هؤلاء قد تخلفوا عن الصلاة بالجماعة!

إذًا فإن المسلمين أيضًا قد أصيبوا بهذا المرض في هذا العصر، حيث لا يلتزمون بأداء الصلوات، ولكنهم يبنون مساجد فخمة؛ مع أن جمال المسجد إنما هو في بساطته، وقد جعله الله تعالى سببًا للزينة الروحانية، وليس أن نتخذه سببًا للتعالي والتفاخر. بيد أنه لا بد من الأخذ في الحسبان سعة المكان للمصلين والنظافة والصحة، فهذا ليس زخرفة، بل ضرورة.

فقول الله تعالى ﴿واتخَذوا مِن دون الله آلهة ليكونوا لهم عزًّا﴾.. يعني أولاً أن هؤلاء يصنعون أصنامًا كبيرة ويبنون لها معابد ضخمة، ويقيمون عليها أعراسًا وحفلات، طمعًا في العزة والشهرة والمدح والثناء فحسب.

كما أن قوله تعالى ﴿ليكونوا لهم عزًّا﴾.. ينطوي على إشارة أخرى أيضًا وهي أن الذي يعبد الصنم يعدّه سببًا للشفاعة، ومدعاةً للتقرب إلى الله تعالى. إنه يظن أنه لا يصلح بنفسه للدخول إلى أعتاب الله تعالى، فينضم إلى حاشية من هو من رجال العرش الرباني، حتى يدخل معه في بلاط الله تعالى. إنه يظن أنه آثم جدًّا وأنى له الوصول إلى بلاط الله تعالى بنفسه، ولكن هذه الأصنام لها درجة وزلفى عند الله تعالى، ولو أني عبدتها لدخلت في خَدَمِها، ووصلت معها إلى بلاط الله تعالى. شأنه شأن شخص يعمل خادمًا لحاكم المحافظة مثلا،

فيدخل معه على المسؤولين الكبار. فالمشرك يظن أنه يتمكن من الجلوس في البلاط الإلهي من خلال عبادة الأصنام. ولكن الله تعالى في كل مكان، وأبوابه مفتوحة لكل سائل وفي كل حين وآن. وقد نبه الله تعالى إلى ذلك في القرآن الكريم بقوله ﴿ألا لله الدينُ الخالصُ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبُدهم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى إن الله يحكُم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي مَن هو كاذب كَفّار﴾(الزمر: ٤).. أي ما كان الله ليقبَل من الناس عبادة يشترك فيها غيره. إن الذين يعبدون من دونه أشياء أخرى يحسبون أنهم إنما يعبدونها لتقربهم إلى الله تعالى، ظانين أنها من المقربين لدى الله تعالى، وإذا كانوا على صلة معها دخلوا معها في بلاط الله تعالى؛ ولكن الغريب أن طالبي البلاط الإلهي هؤلاء لا يزالون في خصام دائم فيما بينهم، ويشن بعضهم الغارات باسم صنمهم على عبدة الصنم الآخر. فلا شك أنهم سيحضرون في بلاط الله تعالى ولكن ليس كرجال البلاط، بل كمجرمين، وسوف يحكم الله بينهم ويكشف عليهم زيف دعاواهم. لقد ارتكب هؤلاء جريمتين: أولاهما الكذب حيث عزوا إلى الأصنام أو الآلهة الباطلة التي اتخذوها من دون الله تعالى صفات لا توجد فيها؛ وثانيتهما أنهم قاموا بنكران شديد لنعم الله تعالى، فإنه تعالى، رغم عظمته وجبروته، يتفضل عليهم وينعم عليهم، ومع ذلك يلجأ هؤلاء إلى الآلهة الباطلة. فقال تعالى ﴿إن الله لا يهدي مَن هو كاذبٌ كَفّارٌ﴾.. فبكلمة ﴿كاذب﴾ نبه إلى كونهم كاذبين إذ يدركون أن هذه الأصنام لا تقدر على شيء ومع ذلك ينسبون إليها قدرات إلهية؛ أما كلمة ﴿كَفّار﴾ فبين الله تعالى بها أنهم جد ناكرين لمعروفنا حيث يرون نعمنا المتوالية ومع ذلك يعوذون بأصنامهم الباطلة بدلاً من أن يدخلوا في حمانا.

﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ (مريم ٨٣)

**شرح الكلمات:**

**ضدًّا:** الضدُّ هو المخالف وأيضًا المعاون. وكلا المعنيين ينطبق هنا بمعنى أنهم سيقفون في وجوههم أعداءً لهم، أو سيقفون في وجوههم مؤيدين للحق.

**التفسير:**

المراد من كلمة ﴿كلا﴾ أن أكبر ما يصبو إليه عبدة الأصنام هو أن ينالوا عزًّا، ولكن هذه الأصنام لن تتسبب في عزتهم أبدًا.

أما قوله تعالى ﴿سيكفُرون بعبادتهم﴾.. فضمير الغائب في ﴿سيكفُرون﴾ يمكن أن يعود إلى العابدين وأيضًا إلى المعبودين، والتقدير: سيكفر العابدون بعبادة المعبودين، أو سيكفر المعبودون بعبادة العابدين.. بمعنى أن عابدي الأصنام أنفسهم سينكرون عبادتها، ويقولون إننا لم نعبدها قط، أو أن هذه الأصنام أو المعبودين باطلاً سيكفرون بعبادة من عبدوها ويقولون إن هؤلاء كاذبون إذ لم يعبدونا قط، بل كانوا يحققون بذلك مآربهم الأخرى من العز والشهرة.

وقد ذكر القرآن الكريم في موضع آخر هذين المعنيين كليهما حيث قال الله تعالى ﴿إذ تبرَّأَ الذين اتُّبعوا من الذين اتَّبعوا ورأَوُا العذابَ وتقطَّعتْ بهم الأسباب * وقال الذين اتَّبعوا لو أن لنا كَرّةً فنتبرَّأَ منهم كما تبرءوا منّا﴾ (البقرة: ١٦٧-١٦٨).

بينما ورد في مكان آخر من القرآن الكريم أن الآلهة الباطلة ستقول لله تعالى ﴿تبرأْنا إليك ما كانوا إيانا يعبُدون﴾(القصص: ٦٤).. أي يا رب نتبرأ من هؤلاء أمامك، فإنهم ما كانوا يعبدوننا، وإنما كانوا يعبدون أهواء أنفسهم.

كذلك جاء في مكان آخر من القرآن الكريم أن الملائكة تقول للمشركين وهي تقبض أرواحهم ﴿أين ما كنتم تَدْعون مِن

دون الله﴾ من الآلهة الباطلة، فيقولون ﴿ضلُّوا عنا﴾(الأعراف: ٣٨).. أي قد فرّوا من عندنا ولا نراهم اليوم.

ويقول القرآن الكريم أيضًا ﴿وإذا رأى الذين أشركوا شركاءَهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا مِن دونك فألقَوا إليهم القولَ إنكم لكاذبون﴾(النحل: ٨٧).. أي أن المشركين حين يرون آلهتهم الباطلة يقولون لله تعالى ربنا هؤلاء هم الذين كنا نعبدهم من دونك، وهؤلاء هم الذين قاموا بإغوائنا. فترد عليهم آلهتهم لِمَ تفترون علينا أيها المفسدون؟ فنحن لم نغوِكم، بل كنتم تشركون بالله تعالى طمعًا في مآربكم ومكاسبكم. وهذا يعني أن أولئك الآلهة التي يعتبرونها مدعاة عز لهم هي التي ستجلب عليهم الخزي والهوان في ذلك اليوم.

كما يخبرنا الله تعالى في القرآن الكريم ﴿ويومَ نحشُرهم جميعًا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤُكم الذين كنتم تزعُمون * ثم لم تكُنْ فتنتُهم إلا أن قالوا واللهِ ربِّنا ما كنا مشركين ﴾(الأنعام: ٢٣-٢٤). والمراد من قوله تعالى ﴿ثم لم تكن فتنتُهم ...﴾ أنه لن يكون جوابهم إلا أنهم يحلفون بالله ويقولون ربنا إننا لا نعرف هؤلاء الفاسدين، إذ لم نشركهم في عبادتك قط.

ويخبرنا الله تعالى في مكان آخر في القرآن الكريم ﴿وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون﴾ (يونس: ٢٩).. أي أن الآلهة الباطلة نفسها ستقول في وجه المشركين ما كنتم إيانا تعبدون.

ويقول الله أيضًا عن المشركين ﴿وكانوا بشركائهم كافرين﴾(الروم: ١٤).. أي أن المشركين سيكفرون بآلهتهم الباطلة ويقولون إننا لم نتخذها قط آلهة من دون الله تعالى.

وكما بيّنتُ من قبل أن من معاني الضد المعاون أيضًا، وعليه فيكون المراد من قوله تعالى ﴿ويكونون عليهم ضِدًّا﴾ أن هؤلاء المعبودين من دون الله تعالى باطلاً سيتعاونون مع الله تعالى في ذلك اليوم ضد عابديهم المشركين، أو أن المشركين سيصبحون متعاونين مع الله تعالى ضد آلهتهم الباطلة. وهذا يعني أن كلا الفريقين سيكون عندئذ معارضًا للآخر، ومتعاونًا مع الحق والصدق أيضًا. سيقول المشركون لم نعبد هؤلاء الآلهة، ويقول المعبودون ما كان هؤلاء إيانا يعبدون.

ومن الجدير بالذكر هنا أن الله تعالى يقول هنا ﴿ويكونون عليهم ضدًّا﴾، ولفظ ﴿ضدًّا﴾ واحد ولكنه يعني الجمع (إملاء ما منّ به الرحمن). والحكمة في هذا الاستعمال الرباني هي الإشارة إلى كمال الاتحاد والإجماع، حيث بيّن الله تعالى أن المشركين، رغم كثرة عددهم ورغم انتمائهم إلى شتى الطوائف والأحزاب، سيتحدون في ذلك اليوم ضد آلهتهم، فيقولون بلسان رجل واحد: لا علاقة لنا بهذه الآلهة الزائفة الباطلة، ونحن بريئون منهم كل البراءة. وأما الآلهة الباطلة فهي الأخرى ستعلن بالإجماع أن لا صلة لنا بهؤلاء المشركين، وها نحن نعلن براءتنا منهم. وذلك لشدة هول ذلك اليوم المخيف الشديد الذي يستولي فيه اليأس على الجميع، فيفرّ المشركون بأنفسهم من آلهتهم الباطلة، وستسعى آلهتهم الباطلة أيضًا للتخلص منهم إنقاذًا لنفسها.

فما أدل هذا الاستعمال على محاسن اللغة العربية، حيث أشار الله تعالى إلى موضوع واسع بتغيير الأسلوب قليلاً حيث استعمل المفرد مكان الجمع. فدل بذلك على أن هذه الآلهة التي يحسبها المشركون مدعاة عز لهم هي نفسها ستجلب عليهم الخزي والعار، وليس ذلك فحسب، بل أشار أيضًا إلى ضعفهم وعجزهم، وهول الموقف، واقتراب الخطر منهم بحيث لن يحتاجوا إلى تفكير طويل، بل إن الجميع، المشركين وآلهتهم الباطلة كلهم، سيتوصلون إلى نتيجة واحدة. سينكر المشركون عبادة آلهتهم الباطلة بلسان رجل واحد، دونما تدبر وتشاور، مدركين أن هذا هو السبيل الوحيد لنجاتهم. سيبلُغون الملايين عددًا، ولكن سيصبحون فردًا واحدًا فيما يتعلق بالنتيجة.

وهنا يطرح سؤال نفسه وهو أن معظم الآلهة الباطلة جماد فكيف تتكلم إذًا؟

(يُتبع)

# مِن نَسَائِمِ الرَّوضَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ

## النُّبُوَّةُ وَالخِلافَةُ وَتَجْدِيدُ الدِّين

**عَن** العرباض بن سارية ﷺ قال: «وَعَظَنَا رَسُولُ الله ﷺ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، فقلنا يَا رَسُولَ الله، إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قال قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك. مَن يَعِشْ منكم فسيرى اختلافا كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سنتي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وعليكم بالطاعة وإن عبدا حبشيا فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما قيد انقاد».
(سنن ابن ماجه، كتاب المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين)

**قال** رسول الله ﷺ: «تكونُ النُّبُوَّةُ فيكم ما شاء اللهُ أن تكونَ، ثم يَرْفَعُها اللهُ تعالى، ثم تكونُ خلافةٌ على مِنهاجِ النُّبُوَّةِ ما شاء اللهُ أن تكونَ، ثم يَرْفَعُها اللهُ تعالى، ثم تكونُ مُلْكًا عاضًّا، فتكونُ ما شاء اللهُ أن تكونَ، ثم يَرْفَعُها اللهُ تعالى، ثم تكونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً فيكونُ ما شاء اللهُ أن يكونَ، ثم يَرْفَعُها اللهُ تعالى، ثم تكونُ خلافةً على مِنهاجِ نُبُوَّةٍ. ثم سكت». (مسند أحمد، أول مُسْنَدِ الْكُوفِيِّينَ)

**عَنْ** أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُول: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ حُجَّةَ لَهُ. وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً.» (صحيح مسلم، كتاب الإمارة)

**عَنْ** أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَيْكَ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ.» ( صحيح مسلم، كتاب الإمارة)

# هكذا تكلم المسيح الموعود

## فضل أولياء الرحمٰن

**فالحق** والحق أقول، إن أهل الله يُرزَقون من ربّ العباد، ويُهدَون إلى طريق السَداد، ويُهيَّأُ لهم جميع لوازم الرشاد، ويُعطى لهم كلّ قوّة وجبت للعتاد، وكفتْ للارتقاء على المصاد، فما كان لأهل الدنيا أن يسابقوهم ويأتوا بأكبادٍ مثل تلك الأكباد، ولو استنّوا استنانَ الجياد، وكيف وإنّ قلوبهم منتشرة كانتشار الجراد، وإنّ ألسنهم على النجاد، وأرواحهم في الوهاد. يقولون إنّا نحن من العرب، وغُذِّينا مِن أمّهاتنا دَرَّ الأدب، وإنّا في مُلك النطق كأقيال وأبناءِ أقوال. فقد استكبروا بنفوسهم الأبيّة، وألسنتِهم العربيّة، وأوطنوا أنفسهم أَمْنَعَ جنابٍ، وزعموا أنهم يفُلّون حَدَّ كلّ ناب. وما عرفوا مِن غباوة الجنان، أن أولياء الرحمن يُعطَون ما لا يُعطَى لأهل اللسان، من المعارف وحسن البيان، ولا يُدرك براعتَهم غيرُهم مع جهدٍ مُعنِّتٍ وصرفِ الزمان، وأنَّى لهم نصيب من هذا الشان، ولو أُوتوا بلاغة سحبان، فإنهم ما صقلوا مرآة الإيمان، وما ذاقوا طعم العرفان، ثم جمعوا بين الحمق والحرمان، وما استطاعوا أن يرجعوا إلى الرحمن، بل صار شغل جرائدهم في سُبُلهم كالصَلات، فهم يحافظون عليه كفريضة الصلاة. يشيعون الجرائد لقبض الصِلات، واستنضاض الإحالات، إلا قليل من أهل التقاة. وأكثرهم لا يطيرون إلا في الأهواء، وقُصَّ جناحهم من الطيران إلى السماء. يمشون في الظلام المسبل، وتراهم لدنياهم في التململ، وتصرخ أقلامهم للقِرى المعجَّل. يطلبون لَقوحًا غزيرةَ الدرّ، قليلة الضرّ. يستقْرون الصيد إلى السواحل، والأحبولة على الكاهل، ويقترون كلَّ شَجْراء ومَرْداء، ويجوبون لها البيداء والصحراء. وما ترى أحدًا منهم قرير العين، إلا بإحراز العين، وتمضي ليلتهم جمعاء في هذه الخيالات، والنهار أجمع في نحت العبارات. فما لهم وللروحانيين، والعباد الربّانيين، الذين يُعطَون عذوبة اللسان وطلاقة كالعين، ويُرزقون بصيرة القلب مع نور العين، ويفوزون من ربّهم بالسهمَين، ويرجعون بالغُنْمَين. وإنّهم قوم نزلوا عن متن ركوبة الأهواء، وحلُّوا فِناء الفَناء. جلّتْ نيّتهم، وقلّت غفلتهم. لا يرون في سبيل الله أثرًا إلا يقْفونه، ولا جَدْرًا إلا يعلونه، ولا واديًا إلا يجزعونه، ولا هاديًا إلا يستطلعونه. عُشّاق الرحمن، وفي سبيله كالنشوان. من ذا الذي يقرع صَفاتَهم، أو يُضاهي صِفاتِهم. ومَن جاءهم كدبير، فقد لُفِحَ ولا كلَفْحِ هجير. إنهم يسعون إلى الحضرة عند المشكلات، بدمعٍ أحرَّ مِن دمع المِقلاةِ. (الهدى والتبصرة لمن يرى ١٥ و١٦)

# أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه

# وَتَحَقُّقُ وَعْدِ الاسْتِخْلَافِ لَهُ بِكُلِّ لَوَازِمِه

الترجمة العربية لخطبة الجمعة التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز
الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام بتاريخ ٢٠٢٢/٠٤/١٥م
في المسجد المبارك بإسلام آباد، بريطانيا

**أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.**

في الخطبة قبل الماضية كان الحديث جاريا عن الوقائع التي وقعت في عهد سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حيث قُرِئَتْ فيها بعض المقتبسات التي تدل على أن سيدنا أبا بكر الصديق لم يعاقب أهل الردة لمجرد ارتدادهم وإنما بسبب تمردهم ومحاربتهم. وقد عدَّ سيدُنا المسيح الموعود عليه السلام، الحكمُ العدلُ في هذ العصر، أيضا الردّة الحاصلة في عهد خلافة سيدنا أبي الصديق بغيًا وتمردا، حيث قال وهو يتحدث عن شجاعة سيدنا أبي بكر أب رضي الله عنه العظيمة:

كان وقت خلافته وقت الخوف والمصائب كما لا يخفى على أهل التحقيق. فإن رسول الله ﷺ لما تُوفّي نزلت المصائب على الإسلام والمسلمين، وارتد كثير من المنافقين، وتطاولت ألسنة المرتدين، وادعى النبوة نفرٌ من المفترين، واجتمع عليهم كثير من أهل البادية، حتى لحق بمسيلمة قريبٌ من مائة ألف من الجهَلة الفجَرة، وهاجت الفتن

* العنوان الرئيسي والعناوين الفرعية من إضافة أسرة «التقوى»

وكثرت المحن، وأحاطت البلايا قريبا وبعيدا، وزُلزل المؤمنون زلزالا شديدا. هنالك ابتُليتْ كل نفس من الناس، وظهرتْ حالاتٌ مُخوِّفة مدهشةُ الحواسّ، وكان المؤمنون مضطرين كأنّ جَمْرًا أُضرمت في قلوبهم أو ذُبحوا بالسكّين. وكانوا يبكون تارةً مِن فراق خير البرية (ﷺ)، وأخرى مِن فتن ظهرت كالنيران المحرقة، ولم يكن أثرًا من أمنٍ، وغلبت المفتتنون كخضراءِ الدِّمن فزاد المؤمنون خوفًا وفزعًا، ومُلئت القلوب دهشةً وجزعا. ففي ذلك الأوان جُعِل أبو بكر -رضي الله عنه- حاكِمَ الزمانِ وخليفةَ خاتمِ النبيين. فغلب عليه همٌّ وغمٌّ من أطوار رآها، ومن آثارٍ شاهدها في المنافقين والكافرين والمرتدين، وكان يبكي كمرابيع الربيع، وتجري عبراته كالينابيع، ويسأل الله خيرَ الإسلام والمسلمين. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما جُعل أبي خليفةً وفوّض الله إليه الإمارةَ، فرأى بمجرد الاستخلاف تموُّجَ الفتن مِن كل الأطراف، ومَوْرَ المتنبئين الكاذبين، وبغاوةَ المرتدين المنافقين، فصُبّتْ عليه مصائبُ لو صُبّتْ على الجبال لانهدّتْ وسقطت وانكسرت في الحال. ولكنه أُعطيَ صبرًا كالمرسلين.[١]

يقول المسيح الموعود عليه السلام: حتى جاء نصر الله وقُتل المتنبئون وأُهلك المرتدون، وأُزيل الفتن ودفُع المحن، وقُضي الأمر واستقام أمر الخلافة، ونجّى الله المؤمنين من الآفة، وبدّل من بعد خوفهم أمنا، ومكّن لهم دينهم وأقام على الحق زمنًا، وسوّدَ وجوه المفسدين، وأنجز وعده ونصر عبده الصدّيقَ، وأباد الطواغيت والغرانيق، وألقى الرعب في قلوب الكفار، فانهزموا ورجعوا وتابوا، وكان هذا وعد من الله القهار، وهو أصدق الصادقين.[٢]

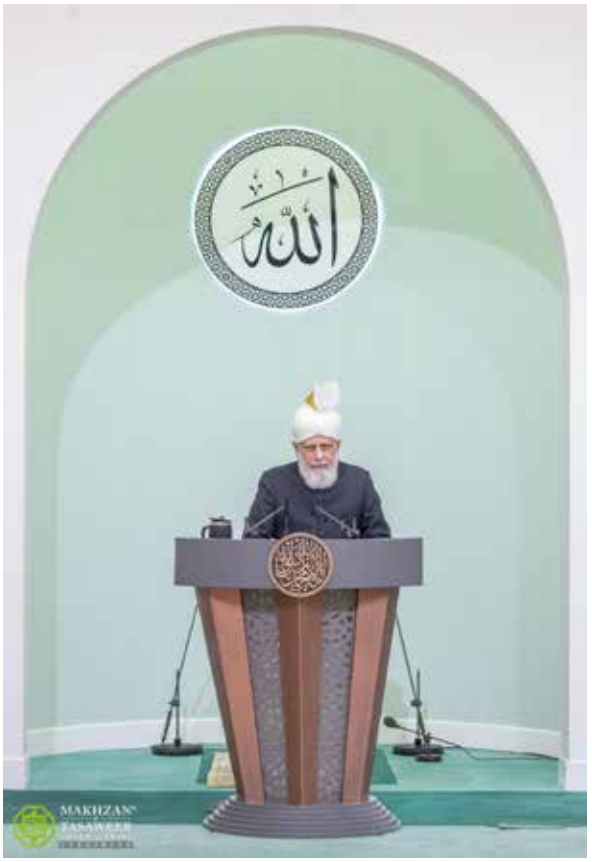


يقول عليه السلام: فانظرْ كيف تمَّ وعدُ الخلافة مع جميع لوازمه وأماراته في الصدّيق، وادْعُ الله أن يشرح صدرك لهذا التحقيق[٣].

يقول المسيح الموعود عليه السلام: وتدبَّرْ كيف كانت حالة المسلمين في وقت استخلافه، وقد كان الإسلام من المصائب كالحريق، ثم ردّ الله الكرّةَ على الإسلام وأخرجه من البِير العميق، وقُتِل المتنبئون بأشدّ الآلام، وأُهلكَ المرتدون كالأنعام، وآمنَ الله المؤمنين من خوفٍ كانوا فيه كالميّتين. وكان المؤمنون يستبشرون بعد رفع هذا العذاب، ويهنّئون الصدّيق ويتلقونه بالترحاب، ويحمدونه ويدْعون له من حضرة رب الأرباب، وبادروا إلى تعظيمه وآداب تكريمه، وأدخلوا حُبَّه في تامورهم، واقتدوا به في جميع أمورهم، وكانوا له شاكرين. وصقلوا خواطرهم، وسقوا نواضرهم، وزادوا حُبًّا، ووَدُّوا وطاوعوه جهدًا وجِدًّا، وكانوا يحسبونه مباركًا ومؤيّدًا كالنّبيين. وكان هذا كلّه من صدق الصدّيقِ واليقينِ العميق[٤] .

عند نشوب فتنة الارتداد والتمرد بعث حضرة أبي بكر

الصديق البعوث للقضاء عليها. وكما ذكرنا سابقًا، ارتدت كل العرب تقريبًا بعد وفاة الرسول الكريم ﷺ. كانت فئة منهم رفضوا دفع الزكاة فقط، وقد سبق ذكر الإجراءات التي اتخذها سيدنا أبو بكر ضدهم. ونذكر الآن فئة أخرى لم ترتد عن الإسلام فحسب، بل تمردت وبغت أيضًا وكانت تقتل المسلمين، فعزم أبوبكر على معاقبتهم بعد ذلك.

فلقد ورد في البداية والنهاية: بعدما جم جيش أسامة واستراحوا، ركب الصديق أيضا في الجيوش الإسلامية شاهرا سيفه مسلولا، من المدينة إلى ذي القصة، (التي تبعد عن المدينة مسافة ليلة ونهار، بحسب وسائل السفر في ذلك الزمن) كان من بين الصحابة علي بن أبي طالب ﷺ الذي كان يطالبه بإصرار أن يرجع إلى المدينة ويُرسل جريئا آخر مكانه للحرب. قالت عائشة رضي الله عنها: لما برز أبو بكر إلى القصة واستوى على راحلته، أخذ علي بن أبي طالب بزمامها وقال: إلى أين يا خليفة رسول الله ﷺ؟ أقول لك ما قال رسول الله ﷺ يوم أحد: لِمَ سيفك ولا تفجعنا بنفسك، وارجع إلى المدينة، فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبدا، فرجع أبو بكر ﷺ وأرسل الجيش[٥].

لما أراح أسامة وجنده ظهرهم وجموا، وقد جاءت صدقات كثيرة تفضل عنهم، قطع أبو بكر ﷺ البعوث وعقد الألوية، فعقد أحد عشر لواء: عقد لخالد بن الوليد وأمره بطليحة بن خويلد؛ فإذا فرغ سار إلى إلى مالك بن نويرة بالبطاح إن أقام له، (كان جميع هؤلاء مرتدين ومحاربين) (والبطاح ينبوع في منطقة بني أسد) وعقد لواء لعكرمة ابن أبي جهل وأمره بمسيلمة، وعقد لواء ثالثا للمهاجر بن أبي أمية وأمره بجنود العنسي ومعونة الأبناء على قيس بن المكشوح ومن أعانه من أهل اليمن عليهم، (الأبناء قوم من الفرس الذين أقاموا في اليمن وتزوجوا في العرب) ثم يمضي إلى كندة بحضرموت، (وحضرموت منطقة في اليمن). وعقد اللواء الرابع لخالد بن سعيد بن العاص وبعثه إلى الحمقتين من مشارف الشأم، والخامس لعمرو بن العاص إلى جماع قضاعة ووديعة والحارث، والسادس لحذيفة بن محصن الغلفاني وأمره بأهل دبا (وهي سوق العرب في عُمان المدينة الشهيرة والقديمة) والسابع لعرفجة بن هرثمة وأمره بمهرة؛ (مهرة اسم لمنطقة في اليمن) وأمرهما أن يجتمعا وكل واحد منهما في عمله على صاحبه، وبعث شرحبيل بن حسنة في أثر عكرمة بن أبي جهل، وقال: إذا فرغ من اليمامة فالحق بقضاعة، وأنت على خيلك تقاتل أهل الردة، وعقد اللواء التاسع لطريفة بن حاجز وأمره ببني سليم ومن معهم من هوازن، والعاشر لسويد بن مقرن وأمره بتهامة اليمن، والحادي عشر للعلاء بن الحضرمي وأمره بالبحرين. فانطلق الجميع من ذي القصة إلى أهدافهم. وأمر أبو بكر ﷺ كل أمير جند باستنفار من مرّ به من المسلمين التابعين من أهل القرى التي يمر بها.

## أبو بكر ﷺ قائدا محنَّكًا

كتب أحد الكُتَّاب وهو يتحدث عن تقسيم أبي بكر ﷺ هذا: اتُّخِذت قرية «ذي القصة» مركز انطلاق أو قاعدة تحرك للجيوش المنظمة التي ستقوم بالتحرك إلى مواطن الردة للقضاء عليها، وتنبئ خطة الصديق ﷺ عن عبقرية فذة، وخبرة جغرافية دقيقة، ومن خلال تقسيم الألوية وتحديد المواقع يتضح أن الصديق ﷺ كان جغرافيًّا دقيقًا خبيرًا

**.... فقد كان الجهاز العسكري لدولة الصديق متفوقًا على كل القوى العسكرية في الجزيرة، وكان القائد العام لهذه الجيوش سيف الله المسلول خالد بن الوليد، صاحب العبقرية الفذة في حروب الردة، والفتوحات الإسلامية. كان هذا التوزيع للجيوش وفق خطة استراتيجية هامة مفادها، أن المرتدين لازالوا متفرقين كلٌّ في بلده**

بالتضاريس، والتجمعات البشرية، وخطوط مواصلات جزيرة العرب، فكأن الجزيرة العربية صوّرت مجسما واضحا نصب عينيه في غرفة عمليات مجهزة بأحدث وسائل التقنية، فمن يتمعَّن في تسيير الجيوش ووجهة كلِّ منها، واجتماعها بعد تفرُّقها، وتفرقها لتجتمع ثانية، يرى تغطية سليمة رائعة صحيحة مثالية لجميع أرجاء الجزيرة، مع دقة في الاتصال مع هذه الجيوش، فأبو بكر في كل ساعة يعلم أين مواقع الجيوش ويعلم دقائق أمورها وتحركاتها، وماحققت، وماعليها في غد من واجبات، والمراسلات دقيقة وسريعة، تنقل أخبار الجبهات إلى مقرِّ القيادة في المدينة حيث الصديق وكان على صلة مستمرة مع جيوشه كلها، وبرز من المراسلين العسكريين مابين الجبهات وبين مقرِّ القيادة: أبو خيثمة النَّجَّاري الأنصاري، وسلمة بن سلامة، وأبو برزة الأسلمي، وسلمة بن وقش. وكانت الجيوش التي بعثها الصديق متماسكة وهي إحدى إنجازات الدولة الهامة، إذ جمعت تلك الجيوش بين مهارة القيادة وبراعة التنظيم، فضلًا عن الخبرة في القتال صهرتها الأعمال العسكرية في حركة السرايا والغزوات التي تعدَّى بعضها شبه الجزيرة في زمن النبي ﷺ، فقد كان الجهاز العسكري لدولة الصديق متفوقًا على كل القوى العسكرية في الجزيرة، وكان القائد العام لهذه الجيوش سيف الله المسلول خالد بن الوليد، صاحب العبقرية الفذة في حروب الردة، والفتوحات الإسلامية. كان هذا التوزيع للجيوش وفق خطة استراتيجية هامة مفادها، أن المرتدين لازالوا متفرقين كلٌّ في بلده ولم يحصل منهم تحزب ضد المسلمين بالنسبة للقبائل الكبيرة المتباعدة في المكان أولاً، لأن الوقت لم يكن كافيًا للقيام بعمل كهذا حيث لم يمض على ارتدادهم إلا ما يقرب من ثلاثة أشهر. وثانيًا لأنهم لم يدركوا خطر المسلمين عليهم وأنهم باستطاعتهم أن يكتسحوهم جميعًا في شهور معدودة، ولذلك أراد الصديق أن يعاجلهم بضربات مفاجئة تقضي على شوكتهم وقوتهم قبل أن يجتمعوا في نصرة باطلهم. فعالجهم قبل استفحال فتنتهم ولم يترك لهم فرصة يطلّون منها برؤوسهم، ويمدون ألسنتهم يلذعون بها الجسم الإسلامي.

ويقول المؤلف في بيان أمور مختلفة قام بها أبو بكر ﷺ مثل تعيين القادة وغيرها:

ويمكننا من خلال الدراسة أن نستخلص الخطة العامة بعد أن عقد الصديق الألوية لقادة الجيوش والتي تتلخص في النقاط الآتية:

أ. ضمنت الخطة إحكام التعاون بين هذه الجيوش جميعها بحيث لا تعمل كأنها منفصلة تحت قيادة مستقلة، وإنما هي رغم تباعد المكان جهاز واحد، وقد تلتقي –أو يلتقي بعضها ببعض– لتفترق، ثم تفترق لتلتقي، كان ذلك والخليفة بالمدينة يدير حركة القتال ومعاركه.

**ب.** احتفظ الصديق بقوة تحمي المدينة –عاصمة الخلافة– واحتفظ بعدد من كبار الصحابة ليستشيرهم، وليشاركوه في توجيه سياسة الدولة.

**ج.** أدرك الصديق أن هناك جيوشًا من المسلمين داخل المناطق التي شملتها حركة العصيان والردة، وقد حرص على هؤلاء المسلمين من أن يتعرضوا لنقمة المشركين، ولذلك فإنه أمر قادته باستنفار من يمرون بهم من أهل القوة من المسلمين من جهة، وبضرورة تخلف بعضهم لمنع بلادهم وحمايتها من جهة أخرى.

د– طبق الخليفة مبدأ ''الحرب خدعة'' مع المرتدين، حتى أظهر أن الجيوش تنوي شيئًا وهي في حقيقة الأمر كانت تستهدف شيئًا آخر، زيادةً في الحيطة والحذر من اكتشاف خطته. وبذلك تتبين براعته ﷺ السياسية في القيادة، وخبرتُه العلمية ورسوخُ علمه ونصرةُ الله تعالى والفتحُ.

وبهذه المناسبة كتب سيدنا أبو بكر ﷺ أمرَين، أمرا موجَّها إلى قبائل العرب وأمرًا لإرشاد قادة الجيش. ويقول أحد المؤلفين بهذا الشأن:

بعد التنظيم الدقيق، وحسن الإعداد للجيوش الإسلامية التي عقد لها الصديق الألوية، نجد الدعوة البيانية القولية تطل لتقوم بدورها، وتدلي بدلوها، فقد حرر الصديق كتابًا عامًا ذا مضمون محدد سعى إلى نشره على أوسع نطاق ممكن في أوساط من ثبتوا على الإسلام ومن ارتدوا عنه جميعًا قبل تسيير قواته لمحاربة الردة. وبعث رجالاً إلى محل القبائل وأمرهم بقراءة كتابه في كل مجمع وناشد من يصله مضمون الكتاب بتبليغه لمن لم يصل إليه وحدد الجمهور المخاطب به بأنه: العامة والخاصة، من أقام على إسلامه أو رجع عنه.[٦]

لقد أورد الطبري رسالة أبي بكر ﷺ الموجهة إلى قبائل العرب بتفاصيل أكثر من غيره، وقد ذكر سيدنا المسيح الموعود عليه السلام أيضا هذه الرسالة في كتابه «سر الخلافة» فقال:

ولنكتب هنا كتابا كتبه الصدّيق إلى قبائل العرب المرتدة ليزيد المطّلعون عليه إيمانا وبصيرة بصلابة الصدّيق في ترويج شعائر الله والذبِّ عن جميع ما سَنَّه رسول الله ﷺ. ثم نقل عليه السلام تلك الرسالة وهي كما يلي:

**«بسم الله الرحمن الرحيم**

مِن أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى من بلغه كتابي هذا من عامّة وخاصّة، أقام على إسلامه أو رجع عنه. سلام على من اتبع الهدى، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى، فإني أحمد إليكم اللهَ الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، نقرّ بما جاء به، ونُكفّر مَن أبى ونجاهده.

أمّا بعد، فإن الله تعالى أرسل محمدا بالحق من عنده إلى خلقه بشيراً ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، لينذر من كان حيًّا ويحِقَّ القول على الكافرين. فهدى الله بالحق من أجاب إليه، وضرب رسول الله ﷺ

**.... لماذا شُنت عليهم الحرب ولماذا عوملوا كلهم هذه المعاملة، لأنهم كانوا محاربين وكانوا يفرضون الحرب على المسلمين، ولم يكونوا يقاتلونهم فحسب بل كانوا يعتدون عليهم وكانوا يظلمون المسلمين العزَّل المقيمين في مناطقهم.**

من أدبر عنه، حتى صار إلى الإسلام طوعا وكرها.

ثم توفي رسول الله ﷺ وقد نفذ لأمر الله ونصح لأُمّته وقضى الذي كان عليه. وكان الله قد بيّن له ذلك ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزل فقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ وقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ وقال للمؤمنين: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾ فمَن كان إنما يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان إنما يعبد الله وحده لا شريك له، فإن الله له بالمرصاد. حيٌّ قيّومٌ، لا يموت، ولا تأخذه سِنَة ولا نوم، حافظٌ لأمره، منتقم مِن عدوّه يجزيه.

وإني أوصيكم بتقوى الله وحظّكم ونصيبكم من الله وما جاءكم به نبيّكم ﷺ وأن تهتدوا بهداه، وأن تعتصموا بدين الله، فإن كل من لم يهده الله ضالٌّ، وكل من لم يُعافِه لَمُبتلًى، وكل من لم يُعِنْه مخذول. فمن هداه الله كان مهتديا، ومن أضلّه كان ضالا، قال الله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ ولم يُقبَل منه في الدنيا عمل حتى يقرّ به، ولم يُقبَل منه في الآخرة صرف ولا عدل. وقد بلغني رجوعُ مَن رجع منكم عن دينه بعد أن أقرّ بالإسلام وعمِل به اغترارًا بالله وجهالةً بأمره وإجابةً للشيطان. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظالِمِينَ بَدَلاً﴾، وقال: ﴿إِن الشَيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ وإني بعثتُ إليكم فلانا من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، وأمرتُه أن لا يُقاتل أحدًا ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله، فمن استجاب له وأقرّ وكفَّ وعمل صالحًا قَبِلَ منه وأعانه عليه، ومن أبَى أمرتُ أن يُقاتله على ذلك، ثم لا يُبقي على أحد منهم قدِر عليه، وأن يحرقهم بالنار ويقتلهم كل قتلة، وأن يسبي النساء والذراري، ولا يقبل مِن أحد إلا الإسلام. فمن اتبعه فهو خير له، ومن تركه فلن يُعجز الله. وقد أمرتُ رسولي أن يقرأ كتابي في كل مجمع لكم. والداعية الأذان، وإذا أذّن المسلمون فأذّنوا، كُفّوا عنهم، وإن لم يؤذّنوا عاجلوهم، وإذا أذّنوا اسألوهم ما عليهم، فإن أبوا عاجلوهم وإن أقرّوا قُبِلَ منهم.

باختصار، لماذا شُنت عليهم الحرب ولماذا عوملوا كلهم هذه المعاملة، لأنهم كانوا محاربين وكانوا يفرضون الحرب على المسلمين، ولم يكونوا يقاتلونهم فحسب بل كانوا يعتدون عليهم وكانوا يظلمون المسلمين العزَّل المقيمين في مناطقهم.

### رسائل الصديق ﷺ إلى قادة الجيوش

الرسالة الثانية التي أرسلها سيدنا أبو بكر ﷺ إلى قادة

الجيش كلهم الذين كان عددهم أحد عشر قائدا، وقد مر ذكرهم، هي:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ لفلان حين بعثه فيمن بعثه لقتال من رجع عن الاسلام (وكتب على الرسالة اسم القائد) وعهِد إليه أن يتقي الله ما استطاع في أمره كله سره وعلانيته وأمَرَه بالجد في أمر الله ومجاهدة من تولى عنه ورجع عن الاسلام إلى أماني الشيطان بعد أن يعذر إليهم فيدعوهم بداعية الاسلام فان أجابوه أمسك عنهم وإن لم يجيبوه شن غارته عليهم حتى يقروا له. ثم ينبئهم بالذي عليهم والذي لهم، فيأخذ ما عليهم ويعطيهم الذي لهم، لا ينظرهم (أي لا يمهلهم حتى يستعدوا للحرب فيهاجموا المسلمين) ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم، (أي إذا ظنّ المسلمون أن هؤلاء لن يرتدعوا عن القتال فلا تمنعوا المسلمين من قتالهم، كان هذا الأمر موجهًا إلى زعماء هذه المنطقة الذين كانوا أدرى بأوضاعها) فمن أجاب إلى أمر الله ﷻ وأقر له قبل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف، وإنما يقاتل من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله، فإذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل، وكان الله حسيبه بعد فيما استسر به، ومن لم يجب داعية الله قتل وقوتل حيث كان، وحيث بلغ مراغمة، لا يقبل من أحد شيئا أعطاه الا الاسلام، فمن أجابه وأقر قَبِل منه وعَلّمه، (أي من ارتدّوا بعد إسلامهم ثم أخذوا يحاربون المسلمين خلاف تعاليم الإسلام، فعليكم أن تعلّموهم ما هو الإسلام وما هي حقيقته، وأخبروهم أنه لا يجوز لهم محاربة الحكومة الإسلامية بعد إسلامهم) ومن أبى قاتله، فإن أظهره الله عليه قتل منهم كل قتلة بالسلاح والنيران، ثم قسم ما أفاء الله عليه إلا الخمس فإنه يبلغناه، وإن يمنع أصحابه العجلة والفساد وأن لا يدخل فيهم حشوا حتى يعرفهم ويعلم ما هم، لا يكونوا عيونا (أي يجب أن يتحرى الأمر جيدًا حتى لا يدخل في صفوف المسلمين من يكونوا عيونًا للأعداء) ولئلا يوتى المسلمون من قبلهم، وأن يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمنزل يتفقدهم؛ ولا يعجّل بعضهم عن بعض، ويستوصي بالمسلمين في حسن الصحبة ولين القول.»

**القول في قتل بعض المتمردين حرقا**

لقد ذُكرتْ هنا بعض الأمور التي تحتاج إلى التوضيح إلا أنه لم يرد هنا توضيحها مما قد يؤدي إلى نشوء فكرة خاطئة عن الإسلام. لقد شرحت في خطبة ماضية أن هؤلاء المرتدين كانوا محاربين كلهم، فلم يحاربوا فحسب بل ظلموا المسلمين القاطنين في مناطقهم، فقتلوهم وحرّقوا عليهم بيوتهم، فقال عنهم أبو بكر رضي الله عنه بأنه سينتقم منهم حتمًا وسيعاقبهم

بالطريقة نفسها –كما يتضح من هذه الرسالة التي نقلها المسيح الموعود عليه السلام أيضا– لأنه موافق لقوله تعالى الوارد في القرآن الكريم: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا.﴾ [٧]

ولقد ذكر هذا الأمر نفسه أحد المؤلفين في كتابه وهو الدكتور علي محمد الصلابي فيقول عن تحريق المرتدين البغاة أنه لا يجوز معاقبة أحد بتحريقه بالنار لقول النبي ﷺ: إن النار لا يعذب بها إلا الله؛ ولكن أُمر بتحريق هؤلاء الأوغاد لأنهم أهلكوا أهل الإيمان بهذا الطريق، فكان تحريقهم قصاصًا. ولقد ورد في هذا الكتاب نفسه بخصوص رسالة أبي بكر المذكورة:

«إن من يأبى الرجوع إلى صف المسلمين، ويثبت على ردته، إنما هو محارب لابد من شن الغارة عليه: تقتله أو تحرقه.» [٨]

لقد قال الله تعالى في القرآن الكريم أيضا ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ.﴾، وإن هؤلاء البغاة –كما ذكرت في خطبة ماضية والآن أيضا– ارتكبوا جريمة تحريق المسلمين وقتلهم[٩] بأشنع الطرق، فقد حرّقوهم بالنار وحرّقوا بيوتهم وأهلهم وأولادهم ومثّلوا بهم، فقد أمر أبو بكر الصديق رضي الله عنه بقتل من اشترك في هذه الجريمة بالطريقة نفسها، وبمعاملتهم كما عاملوا به المسلمين.

على أية حال، سيستمر هذا الذكر في المستقبل أيضا إن شاء الله، إلا أنه قد تكون هناك خطب حول مواضيع أخرى خلال رمضان لذلك قد يتأخر قليلا تناوله، ولكن سأتناول تفاصيل الأمور الأخرى في الخطبة التالية المتعلقة بهذا الموضوع.

**الهوامش:**

١ – حضرة مرزا غلام أحمد القادياني u «سر الخلافة»

٢ – نفس المرجع السابق

٣ – نفس المرجع السابق

٤ – نفس المرجع السابق

٥ – ابن كثير، البداية والنهاية

٦ – علي الصلابي، الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق

٧ – (الشورى: ٤١)

٨ – علي الصلابي، الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق

٩ – (البقرة:١٩٥)

# الحج.. رحلة العشق الإلهي في مدارج الترقي الروحي

(المملكة المتحدة)

**نفيس أحمد قمر**

**الحج** في الإسلام رحلة لا تشبهها رحلة فهو ليس مجرد انتقال مكاني من كل فج عميق إلى مكة المكرمة حيث البيت العتيق، بل هو سياحة روحانية بامتياز، وانتقال من عالم المادة وضجيجها إلى فضاءات النور الإلهي. في تلك البقعة المباركة، التي وصفها القرآن الكريم بواد غير ذي زرع تتجلى مفارقة عجيبة، فبينما تتباهى المزارات الدينية في العالم بجمال الطبيعة وخضرة الأرض يبقى البيت الحرام متجردًا من الزينة المادية، ليكون الجمال فيه روحانيًا صرفًا، يستشعره القلب، ولا تدركه الأبصار المادية إلا إذا فتحت لها عين البصيرة. يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام: «وهناك نوع آخر من العبادة وهو الحج .. والحق أنه من آخر مراحل العبادة والسلوك أن ينقطع الإنسان عن نفسه، ويعشق ربّه، ويغرق في بحر حبه، فالمحب الصادق يضحي بقلبه ومهجته في سبيل حبيبه والطواف ببيت الله الحرام رمز لهذه التضحية وهذا الفداء، وكما أنّ هناك بيتًا لله تعالى على الأرض، فكذلك هناك بيت لله في السماء، وما لم يطف به الإنسان لم يصح طوافه.»[1]

## معنى الحج وفلسفته

الحج في اللغة هو القصد، وفي دلالته الروحية هو قصد الذات الإلهية وتجريد النية من كل شائبة دنيوية. وينبغي

**والحق أنه من آخر مراحل العبادة والسلوك أن ينقطع الإنسان عن نفسه، ويعشق ربّه، ويغرق في بحر حبه، فالمحب الصادق يضحي بقلبه ومهجته في سبيل حبيبه والطواف ببيت الله الحرام رمز لهذه التضحية وهذا الفداء، وكما أنّ هناك بيتًا لله تعالى على الأرض، فكذلك هناك بيت لله في السماء، وما لم يطف به الإنسان لم يصح طوافه.**

للحاج أن يتحقق لديه التطابق بين الدلالتين اللغوية والروحية فالقصد ينبع من النية التي هي أساس كل عمل. ولن يُحقق المرء مقتضى الحج إلا بإعلان الاستسلام المطلق لِلّه، تمامًا كما فعل إبراهيم الخليل عليه السلام حين ترك زوجه وولده في صحراء مقفرة متكئًا على عصا اليقين بالله القيوم هذا الفعل لم يكن مجرد مغامرة، بل كان «حجا» حقيقيًا الله قبل رفع قواعد البيت، وتتويجًا لعقيدة راسخة مفادها أن من وجد الله فماذا فقد؟! ومن فقد الله فماذا وجد؟!

### الطواف عشقًا

لا تتوقف بركات تعاليم الشريعة على إنقاذ المؤمن ونجاته فحسب، بل تتعداها إلى بلوغ درجة الفلاح، لقد ذكر المسيح الموعود عليه السلام أن سورة المومنون تذكر ستة مدارج للترقيات الروحانية، وجاء تطبيقها الرمزي في شعيرة الطواف حول الكعبة المشرفة. والحق أن المرء لا يطوف إلا حول من يحب، ولا يتمسح إلا بمن يهوى وكما كان الشعراء يطوفون حول ديار محبوباتهم شوقًا، فإن المسلم يطوف بالبيت العتيق تعبيراً عن فنائه في حب الله.

وفكرة مدارج الترقيات التي يمر بها الجنين الإيماني الروحاني حتى يُكتب له الاكتمال ومن ثم الولادة هي فكرة أصيلة في التعاليم الإلهية، وهي مبثوثة فيما حولنا من مظاهر الشريعة في جلاء تام، وعلى سبيل المثال لا الحصر هناك شعيرة الطواف حول بيت الله الحرام، والتي يؤديها كل من الحاج والمعتمر، والتي ينبغي لكل من يقصد بيت الله حاجا أو معتمرا أن يُدرك فلسفتها، فبإدراكها يجني المرء ثمرة طوافه، وينقلب إلى أهله وقد حج حجا مبرورا، فيستحق الثواب الذي وعد به النبي ﷺ بقوله: «العُمرةُ إلى العُمرةِ كفَّارةُ ما بَيْنَهما والحجُّ المبرورُ ليس له جزاءٌ إلَّا الجنَّةُ.»[٢]

### الشعائر والمناسك.. دروس في التوكل وذبح النفس

من شعائر الحج المعروفة السعي بين الصفا والمروة، وهذه الشعيرة ليست مجرد عملية هرولة بين جبلين، بل هي استحضار لسعي السيدة هاجر (عليها السلام) التي علمتنا أن الأخذ بالأسباب لا يتعارض مع التوكل والإيمان. فرغم ثقتها المطلقة بالله، لم تجلس ساكنة، بل سعت وبذلت الجهد، وأفرغت ما في جعبتها من أسباب، حتى بلغت حال المضطر، فتحقق لها شرط إجابة الدعاء المُبيَّن في قول الله عز وجل: ﴿أمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ...﴾[٣]، فانفجر لها الماء من تحت قدمي رضيعها.

أما ذبح الأضاحي، فذلك المنسك يحمل دلالة عميقة تتجاوز إراقة الدماء؛ إنها رمز لذبح النفس الأمارة بالسوء. فالبهيمة التي تنحر هي إشارة رمزية إلى القوى البهيمية في الإنسان التي يجب إخضاعها والتضحية بها في سبيل الله.

فإذا ما ذُبحت النفس الأمارة، لم يتبقَّ في الإنسان إلا الخير وبات مستعدًا للقاء ربه بقلب سليم.

**الحج مظهر وحدانية الله ﷻ وكرامة الإنسان**

يعد الحج أكبر مظهر لإرساء وحدانية الله ﷻ. ففي تلك البقعة المباركة تذوب الفوارق الطبقية والعرقية واللغوية. حيث يكتسي الجميع برداء الإحرام ذي اللون الواحد هو الأبيض، وهو ثوب يشبه الأكفان، ليعلن الحاج أنه مات عن دنياه وبعث إلى ربه. هذا التوحد في المظهر والجوهر هو التجسيد العملي لكرامة الإنسان؛ ففي الحج لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى.

واجتماع الملايين في مكان واحد، وفي زمان واحد يلبون ربًا واحدًا، هو إعلان سلطان الله المطلق وتحرير للإنسان من عبودية الخلق. الحج إذن يُمَكِّن لكرامة الإنسان حين يجعله عبدًا لله ﷻ وحده متحررًا من قيود الجاه والمال، مساويًا لأخيه الإنسان في أدق الشعائر وأعظم المواقف.

**وقفة عرفات، ذروة المعرفة**

الْحَجُّ عَرَفَةُ، الوقوف بذلك المشعر الحرام أعظم أركان الحج، لأنه إذا فات وقته بدون وقوف فقد فات على المرء الحج في ذلك العام، بخلاف غيره من الأركان فيمكن تداركها. قال الحافظ ابن حجر: «مُعْظَمُ الْحَجّ عَرَفَةُ، بَلْ يَجُوزُ إِدْرَاكُ الْحَجّ بِالْوُقُوفِ بِعَرَفَةَ.»[٤] والوقوف بعرفة هو لحظة المكاشفة والمعرفة، حيث يقف العبد مجردًا من كل شيء إلا دعائه، في مشهد يذكر بيوم الحشر العظيم. هو صعود معنوي يرمز للانقطاع عن الأسافل والترقي إلى عالم الأرواح. فمن حج ولم يعرف الله ﷻ في عرفات، فقد فاته جوهر الرحلة فالمقصود الحقيقي هو الوصول إلى درجة اليقين الذي لا تشوبه شائبة شك.

**عودة الحاج كمن ولدته أمه**

الحج المبرور هو الذي يعود صاحبه منه بقلب جديد، حيث يترجم الحاج شعيرة رمي الجمرات إلى عزم أكيد على طرد الشيطان من حياته اليومية، ويحول حلق الرأس إلى رمز للتخلص من الكبرياء والغرور. إن الحج رحلة تبدأ بالقصد، وتنتهي بالإشراق، حيث تشرق الروح بنور اليقين، ويعود الإنسان إلى وطنه وقد غسلته أنوار الكعبة، ليكون لبنة صالحة في مجتمع يقوم على التقوى والوحدانية واحترام كرامة الإنسان.

**الهوامش:**

١ – مرزا غلام أحمد القادياني، خطاب الجلسة السنوية عام ١٩٠٦

٢ – الطبراني، المعجم الأوسط

٣ – (النمل: ٦٣)

٤ – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح البخاري، ج٣، ص٤٨٢، المكتبة السلفية، القاهرة، ١٣٨٠ – ١٣٩٠ هـ

# مناجاة مشتاق

نظم: عيسى رحمون

يَا سَيدِي مَسْرُور عَزَّ مَسِيرِي ... لِحُضُورِ مُؤْتَمَرِ الهُدَى وَالنُّورِ
فِي جَلْسَةٍ سَنَوِيَّةٍ مُزْدَانَةٍ ... بِكُمُ، بِأَبْهَاءِ الجِنَانِ تَدُورِ
وَلَئِنْ تَقَاصَرَت الظُّرُوفُ لِسَفْرَةٍ ... فَالشِّعْرُ بَاتَ مَطِيَّتِي وَسَفِيرِي
وَالوَصْلُ مَا خَلَصَ الفُؤَادُ فَلَمْ يَزَلْ ... فِي القَلْبِ مِنْهُ لَبَالِغُ التَّأْثِيرِ
عُذْرًا إِمَامَ المُؤْمِنِينَ فَمِقْوَلِي ... لَمَّا يُخَالِفْ أَكْثَرَ المَشْهُورِ
وَلَئِنْ بَدَا مَا قُلْتُ بَعْضَ مُكَرِّرٍ ... تَبْقَى الفَرَائِدُ فِي الحَشَا المَسْتُورِ
إِنِّي اجْتَهَدْتُ لِكَي أُلَطِّفَ مَنطِقِي ... لَكِنْ عَيِيتُ وَخَانَنِي تَعْبِيرِي
كَمْ قَدْ يُظَنُّ السُّوءَ فِي شَخْصٍ هَوَى ... إِذْ لَمْ يُعِنْهُ لِسَانُهُ المَبْتُورِ!
وَمَقَامُكُمْ ذَا يَقْتَضِي أَنْ أَبْتَدِي ... نَظْمَ القَرِيضِ بِمَا يُكِنُّ ضَمِيرِي
فَيَكُونُ صَمْتِي فِي حُضُورِكُمُ إِذَنْ ... عَيْنَ البَلاغَةِ فِي حُضُورِ النُّورِ
فَلَكُمْ بِقَلْبِي كُلُّ ذِكرٍ طَيِّبٍ ... يَا مَن وُجُودُكَ فِي الحَيَاةِ أَثِيرِي
وَلَحُبُّكُمْ مَوْلايَ صَارَ هِوَايَةً ... فِي كُلِّ آنٍ سِيدِي وَأَمِيرِي
ذِكْرَاكُمُ يَا سَيِّدِي لَفَضِيلَةٌ ... حُبِّي لَكُم مُتَنَفَّسِي وَسُرُورِي
لَوْ كُنْتَ فِي صَدْرِ الجُمُوعِ مُلَوِّحًا ... لَحَسِبْتُ أَنِّي مَنْ عَنَيْتَ مُشِيرِي
تَبقَى بِقَلْبِي حَاضِرًا وَمُتَوَّجًا ... وَمُحَرِّزًا تِلْقَاءَ طَوْدِ الطورِ
لِأَقُولَ قَولَ العاشِقِينَ بِحَضْرَةٍ ... مَا بَينَ شَهقٍ مُتَيَّمٍ وَزَفِيرِ
وَأُقِرَّ فِي صَمْتِي وَفِي بَوحِي بِمَا ... فِي الفِكْرِ يَجلِدُنِي عَلَى تَقصِيرِي
وأنا المُقِرُّ بِمَا عَرَانِي سَابِقًا ... مُتَوَسِّمًا أَنْ تَسْتَقِيمَ أُمُورِي
يَا سيدِي، عُمْرٌ مَضَى فِي غَفلَةٍ ... مَا فَادَنِي فِي وَعْتِي تَدبِيرِي
فَلتُنجِدُونِي بِالدُّعَاءِ وَبالرِّضَا ... إِنِي أَخَافُ مِنَ الْجُحُودِ نَذِيرِي
مَسرُورُ دُمْتُم فِي الْأَعَالِي شَمْسَنَا ... تُلقِي شُعَاعَكَ بِالسُّرُورِ وَنورِ

# هل اقتربنا من الالتقاء بغرباء من خارج الكوكب؟!

سوريا
محمد العاني

**ولِع** الإنسان منذ فجر التاريخ باستطلاع المجهول في الأرض وخارجها، إذ يقول زميل الجمعية الفلكية الملكية البريطانية آرثر تشارلز كلارك: «ثمة احتمالان اثنان فقط لا ثالث لهما، فإما أننا وحدنا في الكون، أو أننا لسنا كذلك، وكلا الاحتمالين مرعب بالقدر نفسه على أية حال!».

إن ما أمكننا رصده من الكون حتى الآن، يحتوي على سبعين كوينتليون كوكب، أي الرقم سبعة متبوعا بعشرين صفرًا، وتحتوي مجرتنا «درب التبانة» وحدها على ستة مليارات كوكب ذات ظروف مشابهة لظروف كوكب الأرض، ما يدفع بكثير من العلماء والمفكرين إلى ترجيح احتمالية وجود صور من الحياة على بعض تلك الكواكب.

## التصور السائد عن الكون قبل نزول القرآن

من المُدهش أن كتابًا نزل منذ نحو أربعة عشر قرنا قد عالج موضوع وجود الحياة في أنحاء الكون، فمن ناحية يقول القرآن بوجود عوالم أخرى كعالمنا ومنظومات كمنظومتنا الشمسية وكواكب ككوكبنا، وذلك في قوله ﷻ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ...﴾[1]، ومن ناحية أخرى ينبئ بوجود حياة عاقلة على تلك الكواكب، وليست مسألة التقائنا بها سوى مسألة وقت[2]، كما يقول ﷻ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا

مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ.﴾[٣]

وقبل أن نتعمق في الرؤية القرآنية للموضوع، يجدر بنا أن نلقي نظرة سريعة على التصورات السائدة عن الكون قبل نزول القرآن، وذلك لنستطيع فهم عمق الاختلاف الجوهري الذي يقدمه كتاب الله ﷻ عما سواه من أقوال المتقدمين والمتأخرين. لقد كان يُعتقد أن السماوات تتكون من طبقة فوق طبقة من مادة شفافة كالبلاستيك، وأنها مرصعة بأجرام لامعة منيرة هي النجوم، وأن الأرض تتكون من كتلةٍ ثابتةٍ من التراب والصخور والماء والهواء والمعادن يكاد حجمها أن يكون محدودًا، لا تدور حول نفسها ولا حول أي من الأجرام السماوية، وأنها كانت تشغل موقعًا فريدًا في هذا الكون إذ إنها ظلت ثابتة ساكنة في مرساها بينما تدور السماوات حولها في حركة مستمرة دائبة. هذا هو التصور الذي ساد قرونًا، ولم يكن أمام الإنسان لفكره وعلمه وقتها متسع ليتصور غير ذلك.

**فرضية رواد الفضاء القدماء، ومحاولة لتفسير المجهول**

من المثير للاهتمام أن الفكر البشري الحديث قد حاول أيضًا تفسير المجهول من خلال الإتيان بفرضية مثيرة، فإذا ما فكّرنا في التفوق المذهل الذي حققته الحضارات القديمة وسُجّل في لفائف البردي وعلى ألواح الطين وجدران المعابد، نجد أنه تفوق لم نجد له تفسيراً يقينيًا إلى الآن. وقد نشأت لدى المعاصرين فرضية مفادها قدوم كائنات فضائية إلى الأرض في الأزمنة السحيقة وحدوث اتصالات بينها وبين البشر القدماء. في كتاب له بعنوان «أبناء حزقيال: الفضائيون، الأجسام الغامضة، أزمة الذرية، ومجيء الزمن الأخير» يتحدث مايكل ليب عن هذه الفرضية بصفته واحدًا من أنصارها، مشيراً إلى أن هذه الاتصالات كان لها كبير الأثر في تطور الحضارات القديمة وما بلغته من تفوق تقني يظهر في أساليب العمارة وغيرها[٤]. وقد شاعت هذه الفرضية، لا سيما في النصف الأخير من القرن العشرين، لدى كتاب ومفكرين مثل إريك فون دانكن وجورجيو تسوكاليس، وحتى لدى بعض الكتاب العرب كأنيس منصور، والذي نشر كتابين حملا عنواني «الذين هبطوا من السماء» و«الذين عادوا إلى السماء». ولكن في الأوساط الأكاديمية لا تؤخذ هذه الفرضية على محمل الجد، ولا يشار إليها كمرجع علمي في الأبحاث والنشرات المُحَكَّمة. هذه الفرضية، على جمالها، تظل مجرد اجتهاد بشري، ولكن ماذا عن الكتاب الذي يعتقد المؤمنون أنه كلام خالق الكون نفسه؟!

**القرآن والإقرار بوجود أحياء غيرنا، وطرح إمكانية لقاء مستقبلي**

ما مدى تفرُّد كوكب الأرض واستئثاره بالحياة في الكون؟! هنا يأتي دور حضرة الخليفة الرابع في شرح الموقف القرآني. فقد أوضح حضرته (رحمه الله) أن كتاب الله لم يعترف بفكرة تفرُّد الأرض في وضعها في الكون ولا في حجمها وسكونها. بل صرَّح أن عدد الأرضين في الكون هو «سبع» وفق منطوق آية (الطلاق: ١٣)، علمًا أن الرقم «سبعة» له استعمال ومعنى خاص في القرآن الكريم، إذ إنه يدل على الكثرة غير المحدودة بعدد معين. وعلى هذا، تعني الآية أن الكون يحتوي على عدد غير محدود من السماوات، وكل منها ينقسم إلى مجموعات من «سبعة»، أي العدد الكامل، لكل منها أرضٌ واحدة على الأقل، يدعمها النظام السماوي، أي الجرم، الذي تنتمي إليه. وفي إشارة إلى هذا التركيب العام، يُشير صدر الآية (الشورى: ٣٠) إلى فكرة انتشار مظاهر للحياة في مواضع شتى من الكون، في قول الله ﷻ: ﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض وما بث

فيهما من دابة...﴾. ونوَّه حضرته إلى أن كلمة «دابة» في اللغة العربية تشمل كل حيوان يزحف أو يمشي على سطح الأرض، ولا تنطبق على الطيور التي تطير في الهواء أو السوابح التي تسبح في الماء، وهي يقينًا لا تنطبق على الحياة الروحية، فلا يُطلق لفظ «دابة» أبدًا على الأشباح ولا على الملائكة. بهذا، يقدم القرآن حقيقة علمية غيبية مفادها وجود كائنات حية «تدب» على كواكب أخرى في هذا الكون. ثم أردف حضرته أننا نرى إعجازًا فوق إعجاز حين نقرأ أن الله تعالى سوف يجمع بين الحياة على الأرض والحياة التي في جنبات الكون حينما يشاء ﷻ ذلك، حيث يُشير عَجُز الآية (الشورى: ٣٠) إلى هذا الأمر بوضوح بقول الله ﷻ: ﴿...وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ.﴾. فشرحَ حضرته أن كلمة «جَمعِهم» لفظٌ عربي يتحدث تحديدًا عن اجتماع الحياة العاقلة على الأرض مع نظيرتها الموجودة في الكون، وليس مذكورًا ما إذا كان هذا الاجتماع سيحدث هنا على الأرض أو في مكان آخر، ويمكن أن يعني ذلك الاجتماعَ الماديَّ أو الاجتماعَ عن طريق الاتصال، غير أن أمرًا واحدًا ذكر بكل تأكيد: هذا الاجتماع سيحدث يقينًا حين يشاء الله تعالى ذلك.

**العلم بين المؤيد والمعارض: الجدل يخدم الإعجاز**

بعد عرض هذا التفسير القرآني، من المنطقي أن ننظر إلى ما يقوله العلم الحديث والباحثون المختصون في هذا المجال، ومنهم البروفيسور أرشيبولد روي من جامعة غلاسكو، والمنشغل بحماس في البحث عن إمكانية وجود شكل من أشكال الحياة تتسمُ بالذكاء في الأجرام السماوية، والذي يقول: «في العديد من المؤتمرات الدولية التي عقدت حول مسألة وجود الحياة في الكون، تم بحث الموضوع، وصار من الواضح أنه ليس هناك احتمال في التعرف على إشارة نابعة من مصدر ذي ذكاء فحسب، بل إنه سوف يكون من الممكن إجراء اتصال مع مظاهر من الحياة المذكورة وتبادل المعلومات معها». ويبدو أن حُلم الدكتور روي قد اقترب من التحقق، ولو جزئيًا على الأقل، إذ وافقت الحكومة الأمريكية على قيام ناسا بمشروع لإجراء بحث ضخم عن وجود حياة ذات ذكاء في الكون.[٥]

وفي المقابل، هناك أصوات متشككة مثل الدكتور فرانك تيبلر من جامعة تولين في نيوأورليَنز، والذي يستند في شكوكه على الإحصاءات الحسابية، فهو يَعُدُّ ظهورَ حياة تتمتع بالذكاء في مكان آخر من الكون خلال عملية النشوء المادي للحياة متعارضًا مع قانون الأعداد الكبيرة، إذ يقول: «إن وجود ذكاء في الكون أمرٌ غير وارد، وما علينا إلا أن نقبل هذه الحقيقة... الكون يتطور والأشعة الكونية تدلنا على أنه كان هناك وقت من الأوقات لم توجد فيه حياة لأن الجو كان ساخنًا جدًا، وعلى هذا فإن مكاننا في الكون كان فريدًا من حيث الوقت، وأيضًا لا بد أن تكون هناك الحضارة الأولى وقد تصادف أن تكون هي حضارتنا الإنسانية.'' [٦]

هذا الجدل العلمي نفسه يدعم الفكرة الأساسية التي نناقشها. فقضية «الحياة خارج الأرض» ليست محسومة علميًا، بل هي ميدان مفتوح للبحث والاحتمالات، وهنا يأتي البعد الغيبي والإعجازي للقرآن الذي يقدم إجابة واضحة وحاسمة منذ أربعة عشر قرنًا.

يسأل حضرته، بعد عرض الرأيين المختلفين: أليس من الغريب أن ما أكده القرآن المجيد وعدَهُ حقيقة منذ نحو أربعة عشر قرنًا يبدو الآن حقيقة ممكنة لعلماء اليوم؟ والأغرب والأعجب، هو أن القرآن الكريم يثبت أن الإنسان سيتمكن يومًا ما من الاتصال بهذه الحياة

الموجودة في الكون.

**طبيعة النبوءة القرآنية: تتويج فلسفي عميق**

وهنا ننتقل إلى مستوى أعمق من التفكر، حيث إن أمارات تحقق هذه النبوءة بشكل كامل بدأت تلوح في الأفق، ما يدلُّ على أن نبوءات القرآن المجيد تسبق التقدم العلمي للإنسان، فكل عصر جديد يشهد تحقق الكثير من النبوءات التي أتى بها الوحي الإلهي.. وبرأي حضرة مرزا طاهر أحمد (رحمه الله) أنْ ليس من الغريب أبدًا أن يحلّق خيال الإنسان فينطلقَ من واقع الحقائق المعروفة في الطبيعة إلى آفاق الخيال لما سيأتي به قادم الأيام، غير أنه من النادر أن يشهد المستقبلُ تحقق هذه النبوءات التي تحلقُ في آفاق الخيال. فكل الأعمال المتعلقة بالخيال العلمي تستندُ إلى الاحتمالات التي تتلخص فيها المعرفة والمعلومات المتاحة في العصر. وحينما يكشفُ المستقبل عن خياله وأسراره، نجد أنه لا يتبع ما أملَتْه وفرضَتْه خيالاتهم، ما يدفعُنا إلى الإقرار بأن تحقق خيالات الإنسان فيما يتعلق بالمجهول له حدوده ونطاقه المحصور. أما المعرفةُ المحتواةُ في ثنايا الصحف المقدسة، فيصفها حضرته بأنها غير منحصرةٍ في المعلومات السائدة في عصرِها ولا في أية فترة أخرى أو مجال معين. ويُبيّنُ أن ليس لعاملِ الصدفة دخلًا في تحقُّقها.

وفي نفس الإطار، أجاب سيدنا أمير المؤمنين حضرة مرزا مسرور أحمد (نصره الله) أحد السائلين بأنه «لا شك في وجود حياة على كواكب أخرى». إن القرآن مليء بالبيانات العلمية الرائعة، غير أنه من المحزن أن منتقديه يسارعون إلى محاولة العثور على اعتراضات بدلًا من النظر في الحجج بأمانة[٧] ، وأن من واجب المسلمين بذل قصارى الجهد لدرء كل انتقاد موجه إلى هذا الدين الحنيف، متسلحين بأحد أقوى الأسلحة، وهو اتفاق القرآن وكافة مستجدات العلم الحديث، ذلك لأنه رسالة العليم الخبير إلى الإنسانية جمعاء.

**خاتمة: نظرة أمل إلى مستقبل مجيد**

إن الإنسانية جمعاء تتطلع بعين الأمل إلى المستقبل، على أنه ينبغي أن يكون ذلك الأمر منطلقا من أساس متين من العلم والفكر واليقين، وبالنسبة لنا كمسلمين، علينا أن ندرك أن تحقق النبوءات القرآنية عن التقائنا بأحياء غرباء عن كوكبنا هو أمر في طي الغيب، ويقرره المستقبل، ولعل العمر يمتد بنا فنشهد ذلك اليوم الجميل المجيد الذي تتصلُ فيه الحياة على الأرض بالحياة الموجودة في هذا الكون الرحيب!

**الهوامش:**

[1] – (الطَّلَاق: ١٣)

٢ – انظر: مرزا طاهر أحمد، الوحي والعقلانية والمعرفة والحق، ص ٣٣٤-٣٣٥

٣ – (الشورى: ٣٠)

٤ – Lieb, Michael, "Children of Ezekiel: Aliens, Ufos, the Crisis of Race, and the Advent of End Time", Page 250, Duke University Press, 1998.

٥ – انظر: مرزا طاهر أحمد، الوحي والعقلانية والمعرفة والحق، ص ٣٣٧

٦ – انظر: المصدر السابق، ص ٣٣٦

[٧] – Alex Borthwick,

# قراءة في كتاب «إحياء الإسلام»

**بين** أيدينا كتاب صغير الحجم، إذ يبلغ عدد صفحاته سبعا وعشرين صفحة، غير أنه عظيم النفع، جدير بالقراءة المتأنية والتأمل العميق إذ يطوف بنا مؤلفه في فلك فكرة «إحياء الإسلام» وتجديده، وهذا الكتاب في أصله خطاب ألقاه حضرة مرزا طاهر أحمد (رحمه الله) إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية، والخليفة الرابع للمسيح الموعود عليه السلام وذلك أثناء زيارته إلى الشرق الأقصى عام ١٩٨٣[1]. وقد تناول في خطابه فهمَ الجماعة الإسلامية الأحمدية لفلسفة إحياء الإسلام، حيث بيّن أن تجديد الدين إنما يتمّ عن طريق من يختاره الله تعالى ويبعثه للتجديد. وما كان لدين أن يُكتب له التجديد على أيدي موظّفي الدوائر الدينية أو عن طريق عقد المؤتمرات أو إصدار الفتاوى.

مصر
صلاح مصباح

**ضرورة هذا الخطاب**

تأتي أهمية الخطاب في ظل الدعاوى المنتشرة في الأوساط الإسلامية غير الأحمدية، والتي تتبنى فكرة خاطئة تقول بأن تجديد الإسلام يمكن أن يتم بمجرد رغبة وإرادة العوام أو المثقفين أو حتى رجال الدين من المؤسسات الرسمية أو غير الرسمية، والذين يدعون أنفسهم بأهل الاختصاص. كما تأتي أهمية هذا الخطاب أيضا لكونه ردًّا مفحما للفتانين القائلين بأن التجديد يمكن أن يتم خارج مظلة الخلافة الإسلامية الأحمدية المباركة، وهي دعوى فاسدة شرعا وعقلا، كما سيأتي في ثنايا الخطاب.

**نبوءة انحطاط المسلمين**

إن حال انحطاط المسلمين الحاضرة، كانت من الأمور التي كشفها الله سبحانه وتعالى لنبيه الخاتم ﷺ ولقد أنبأ النبي منذ أربعة عشر قرنًا بوحي من الله تعالى بأن المسلمين سيتفرقون إلى ثلاث وسبعين فرقة كما وصف حالة ما سيصبح عليه المسلمين، كأنه يشاهدهم أمام عينيه، ولكنه

**إن تاريخ الأديان يذكرنا بأن أنبياء الله قاطبة كانوا من بني نوع الإنسان ولم ينزل منهم أحد من السماء، ولم يكونوا أولي قوة خارقة للطبيعة الإنسانية، بل عانوا جميعا ألوانا من الابتلاءات والشدائد وفي النهاية نال اتباعهم المجد لا بجهد غيرهم لكن بجهدهم أنفسهم وبعد أن سالت جباههم عرقا وأجسادهم دما أريق في سبيل الله.**

لم يقصر الوصف على العلامات المروعة التي سيكون عليها المسلمون، بل بشرنا ﷺ ببشارات عظيمة الشأن أيضا، فأخبرنا بأن الأمة الإسلامية لن تهلك رغم تعرضها لتلك المحنة الرهيبة وقال: «كيفَ تهلَكُ أُمَّةٌ أنا في أولِها وعيسَى في آخرِها»[٢]، وقال أيضا: «كيفَ أنتم إذا نزلَ ابنُ مَريمَ فِيكُمْ و إِمامُكمْ مِنكُمْ.»[٣] هكذا بشر المصطفى ﷺ بإمام عظيم وهو الإمام المهدي مؤسس الجماعة الاسلامية الاحمدية. تلك الجماعة التي تتفق مع جميع الفرق الاسلامية في اعتقادها بأن بعث الاسلام وغلبته العالمية ترتبط بمجيء المسيح وظهور الإمام المهدي، ولكنها تختلف عنهم في تفسير النبوءات.[٤]

**غايتهم وغايتنا**

يظن معارضو الجماعة الإسلامية الأحمدية أن نهضة الإسلام مرتبطة بسيادته الاقتصادية والسياسية، ويتجلى الفضل الإلهي في رأيهم في تحقق تلك النتيجة، هذا مفهوم نهضة الإسلام كما يراه الكثيرون، وحسب اعتقادهم سيكون مجيء المسيح بشير عهد جديد يخضع فيه العالم كله للاسلام سياسيا ويكون ظهور الإمام المهدي سبيلا إلى هيمنة المسلمين على العالم اقتصاديًا[٥]. كما يعتقدون أن مجيء المسيح عيسى بن مريم الناصري، الذي ذكر في القرآن أنه رسول إلى بني اسرائيل، سيكون بنزوله من السماء بشخصه وجسده العنصري، ويشرع فور نزوله بإعمال سيفه في رقاب أعداء الإسلام. اللافت أن المسيح بن مريم الناصري لا ولم تنطبق عليه تلك الأوصاف طوال مدة بعثته لبني إسرائيل، ولم يجادلهم بغير الكلمة والتبشير وتحمل الآلام والتضحية من أجل هدايتهم، فكيف يظن المسلمون أنه حين ينزل من السماء سيجتاح العالم محطِّمًا صلبانًا مادية، فلا يبقى لأي صليب أثر على وجه الأرض؟! ثم يطارد الخنازير في الغابات والحظائر، بحيث لا يجد المسيحيون صليبًا لعبادتهم ولا خنزيرًا لطعامهم، وهكذا يُحرم المسيحيون من غذائهم الروحي بعبادة الصليب فضلا عن غذائهم المادي! ثم يقتل الدجال، ذلك الكائن البشع أعور العين الذي حذر كل الأنبياء أممهم من شروره!

تلك فلسفة عامة المسلمين التي تعفيهم من عبء أي كفاح، ويظلون يحلمون بوراثة الأرض من دون أن تتحرك فيهم عضلة، وبوسعهم أن يعيشوا في سعادة الغفلة عما هم فيه من فساد وانحطاط، ينتظرون نزول الكائن الإلهي من السماء وينطلق غازيا من اجلهم، يقتل الخنزير ويكسر الصليب ثم يعود إلى جماهير المسلمين ويقول لهم هلم يا جند الله تعالو وتقلدوا الأمور في مملكة الارض.

في حين أن سنة الله في الأرض هى أن يرثها عباده الصالحون

وليس الكسالى، كذلك سنة المصطفى أنه قام بالكفاح والتضحية بالنفس والمال لنصرة دينه، ولم تتحقق نصرة الدين في البعثة المحمدية الا بالتضحية وبذل الجهد بالرغم من أن الله بشر النبي ﷺ بنصره وبأنه راض عن صحابته الكرام، لكن لم يدعهم هذا للكسل وانتظار نصر الله بدون تضحية وبذل المال والنفس.[٦] وإلى الآن لم يستطيع أحد غير المسيح الموعود عليه السلام أن يهزم العقيدة المسيحية بالأدلة القوية والحجج الدامغة، وكيف يستطيعون وهم يعتقدون عقيدة النصارى بأن المسيح الناصري حي في السماء وينتظرون نزوله؟ حتى أصبح بعض القساوسة يحاربون نبي الإسلام ولا تستطيع اي فرقة من الفرق الاسلامية مواجهتهم وهزيمتهم، لبعدهم اولا عن المبعوث السماوي المسيح الموعود عليه السلام وثانيا لتشابه عقيدتهم في شخص المسيح الناصري بأنه عند النصارى في السماء على يمين الرب والعياذ بالله، ولم يستطيع غير الجماعة الأحمدية المباركة التصدي لأكثر الصليبيين حقارة وتجاوزًا في حق دين ونبي الإسلام بسيف المسيح الموعود عليه السلام، الذي حطم الأساس الفكري للعقيدة المسيحية الضالة.

كذلك كيف ينتصرون على المسيح الدجال، وهم لم يفهموا المعنى المجازي في أحاديث المصطفى ﷺ في وصفه فلو تأملنا الأوصاف التي رواها لنا المصطفى ﷺ منذ أربعة عشر قرنا لأدركنا المعنى ولفهمنا مراده من هذا المخلوق ولا شك أن تحقيق هذه العلامات بدقة لشهادة مجيدة على صدق محمد المصطفى ﷺ. وبالمثل فإن المسلمين الاحمديين يرون الأنباء المتعلقة بمجيئ الإمام المهدي من قبيل المجاز أيضا، وإن الثروة التي سيوزعها بين المسلمين إنما هي ثروة العرفان الروحاني والحكمة الربانية وليست ثروة المال الدنيوي، ثم أن رفض البعض قبول هذا المال لهو دليل على نوعية هذه الثروة إذ أن المال الدنيوي لا يشبع منه الإنسان قط، إنما الكنوز الروحانية هي وحدها التي تلقى منه الازدراء. ولقد تعلمنا من القرآن المجيد، سنة الله منذ عهد أدم عليه السلام إلى محمد ﷺ أن الفلاح لا يأتي بغير السير في طريق الآلام والتضحيات كما سار أنبياء الله وتبعهم المؤمنين من أقوامهم. ويعلمنا القرأن المجيد أن تجديد الدين إنما يتم عن طريق من يصطفيهم الله بفضله من المجددين، ولم يتجدد الدين ابدا على أيدي موظفي الدوائر الدينية. بل ربما تكون تلك الدوائر عقبة أمام المجدد الذي يختاره الله لانها محرومة من المدد الإلهي.

**الرفض والمقاومة والإيذاء سنة من خلوا مع رسلهم**

وكما يحدث دائما مع المجددين الذين يختارهم الله بفضله تعالى يلقون الرفض من اقوامهم دائما ويواجهون بالاستعلاء والاحتقار. وغالبا ما يتعرض المجددون للعنف من جانب الناس، بينما نجد المجددين لا يستعملون العنف بل يعانون هم وأنصارهم الاضطهاد ويتحلون بالصبر. فإن ما عاناه نبي الإسلام محمد المصطفى ﷺ لم يتحمل مثله نبي سواه.

**سنة التجديد إرسال رسل من الناس، لا من غيرهم**

وهكذا فإن تاريخ الأديان يذكرنا بأن أنبياء الله قاطبة كانوا من بني نوع الإنسان ولم ينزل منهم أحد من السماء، ولم يكونوا أولي قوة خارقة للطبيعة الإنسانية، بل عانوا جميعا ألوانا من الابتلاءات والشدائد وفي النهاية نال اتباعهم المجد لا بجهد غيرهم لكن بجهدهم أنفسهم وبعد أن سالت جباههم عرقا وأجسادهم دما أريق في سبيل الله.

**مفهوم الدجال في النبوءات القديمة**

”أما لفظ الدجال فهو اسم وصفي شأنه في ذلك شأن الكلمات الأخرى مثل كلمة المسيح والصليب والخنزير

التي ذكرت في النبوءة، فالدجال وصف لأمة عظيمة قوية تحكم الأرض والفضاء. والواقع أن كلا من الصليب والخنزير يتعلقان بهذه الأمة أيضا.

تقول الأحاديث النبوية بأن العين اليمنى للدجال عوراء، أما عينه اليسرى فكبيرة نيرة.. وفي هذا الوصف المجازي تشير عماية العين اليمنى إلى عماية البصيرة الروحانية عند هذه الأمة وحرمانها من النور الروحاني، وأما قوة العين اليسرى فتدل على حدة بصرها في المجالات المادية بما يمكنها من التفوق المادي وتحقيق إنجازات عظمى ملموسة على هذا الصعيد.

**وحمار الدجَّال أيضا**

وأخيراً فإن المسلمين الأحمديين يرون في حمار الدجال وصفًا رمزيًا كذلك. فهو يشير إلى وسائل النقل المستحدثة التي قُدّر لها أن توجد في زمننا، ذلك أن جميع ملامح حمار الدجال يمكن التعرف عليها فيما نراه من وسائل النقل الحاضرة ذات المحركات الاحتراقية التي اخترعها الغرب. فلو تأملنا أوصاف هذا الحمار كما وردت في الأحاديث النبوية الشريفة وكما انكشفت للمصطفى ﷺ في أحد كشوفه.. لرأيناه يأكل النار، ويجري على الأرض ويشق البحار ويطير في الهواء، وسرعته «كغيث استدبرته الريح» كناية عن السرعة الفائقة، ويدخل الركاب في جوفه ولا يركبون على ظهره، وإنه يضاء لهم ويعلن عن مسيره ويطلب من الركاب ملازمة مقاعدهم.. فلو تأملنا هذه الأوصاف التي رواها لنا المصطفى ﷺ منذ أربعة عشر قرنا لأدركنا المعنى، ولفهمنا مراده من هذا المخلوق.. ولا شك أن تحقق هذه العلامات بدقة بالغة لشهادة مجيدة على صدق محمد ﷺ.

وبالمثل فإن المسلمين الأحمديين يرون الأنباء المتعلقة بمجيء الإمام المهدي من قبيل المجاز أيضا. وإن الثروة التي سوف يوزعها بين المسلمين إنما هي ثروة العرفان الروحاني والحكمة الربانية وليست ثروة المال الدنيوي. ثم إن رفض البعض قبول هذا المال لهو دليل على نوعية هذه الثروة.. إذ إن المال المادي لا يشبع ضمنه الإنسان قط، وإنما الكنوز الروحانية هي وحدها التي تلقى منه الازدراء. وهكذا فإن الجماعة الإسلامية الأحمدية ترفض أيضا هذه الفكرة الساذجة لنهضة الإسلام الاقتصادية التي تنتشر بين طوائف المسلمين الأخرى. وإنها ترى أن فلسفتهم هذه تناقض تعاليم القرآن المجيد ولا تتفق وتاريخ الأنبياء، بل وتناقض سنة الرسول.

إن الجماعة الإسلامية الأحمدية لتنأى بنفسها عن تعاطي هذا الأفيون الفكري الذي تفشى تعاطيه بين أبناء خير أمة أُخرِجت للناس في هذا المعترك الصعب، ليتركها جثة هامدة في عالم الهلاوس والخيالات.

**النتيجة.. لا يقدر على تجديد الأمر إلا صاحبه**

ليس من سبيل إلى إحياء الدين إلا بتدخل إلهي، فالله وحده هو القادر على ذلك، ويكون الإحياء ببعث مبعوث من لدنه هو، لينقذ الناس من تهافتهم على المادة ويعيدهم إلى خالقهم.

**الهوامش:**

١. مقدمة الناشر، إحياء الإسلام، ص٤

٢. أخرجه أبو نعيم في «أخبار المهدي»

٣. أخرجه البخاري (٣٤٤٩)، ومسلم (١٥٥)

٤. راجع: مرزا طاهر أحمد، إحياء الإسلام، ص٥-١٠

٥. راجع: مرزا طاهر أحمد، إحياء الإسلام، ص٨-٩

٦. راجع: مرزا طاهر أحمد، إحياء الإسلام، ص١٤-١٦

# النَّرْجِسِيَّة، وَالسُّقُوطُ فِي شِبَاكِ الذَّات

الهند

د. ثمر حفيظ

**عرَّفت** القواميس المتخصصة «النرجسية Narcissism» بأنها «حب الذات المفرط، أو التمركز في الذات. وفي نظرية التحليل النفسي، هي اتخاذ الذات أو الجسد كموضوع جنسي أو محور للرغبة الجنسية، أو البحث عن شخص آخر أو اختياره لأغراض علائقية بناءً على تشابهه مع الذات.»[١] وبشكل أعمق تُعرف النرجسية بأنها «نمط مستمر من الشعور بالعظمة (في الخيال أو السلوك)، وحاجة مُلِحَّة إلى الإعجاب من المحيطين، مع افتقار واضح إلى التعاطف مع الآخرين. يبدأ هذا النمط عادة في مرحلة البلوغ المبكر ويظهر في سياقات متنوعة، حيث يتصف الشخص النرجسي بتقدير مبالغ فيه لذاته، وانشغال بذكاءات أو نجاحات مُتوهَّمة، وشعور مفرط بالاستحقاق.»[٢]

ومما يثير استغراب الكثيرين أن النرجسية ترتبط في أذهانهم ارتباطًا لفظيًّا دون أن يطلعوا على سر ذلك الارتباط. والسر أن وصف «النرجسية»، حسبما تذكر دائرة المعارف البريطانية، له جذوره الضاربة في القدم، وتحديدًا في الميثولوجيا الإغريقية، والتي عُثِر فيها على قصة أسطورية لفتى يُدعى نرجس Narcissus، وهو ابن إله النهر سيفيسوس والحورية ليريوبي. كان يتميز بوسامته. وحدث أن أخبر العرَّاف الأعمى والدة نرجس أن ابنها سيعمر طويلا، شريطة ألا يتعرف على نفسه أبدًا. ومع ذلك، فإن رفضه لحب الحورية إيكو أثار عليه انتقام الآلهة. لقد وقع في حب انعكاس صورته في مياه أحد الينابيع، فظل يُحدِّق بصورته المنعكسة حتى مات مكانه، وتحوَّل إلى زهرة سمِّيت لاحقا باسمه، زهرة النرجس.[٣]

## النرجسية بين الطبع الشخصي والاضطراب في الشخصية

الشخص النرجسي ليس مجرد فرد يحب ذاته، بل هو بناء نفسي

**الشخص النرجسي ليس مجرد فرد يحب ذاته، بل هو بناء نفسي معقد يتسم بصلابة في المظهر وهشاشة في الجوهر. وفي الأدبيات الأكاديمية، يُنظر إلى النرجسي من خلال طيف يبدأ من سمات شخصية عادية وينتهي باضطراب مرضي. وأبرز ما يميز أصحاب الشخصية النرجسية هو تضخم الأنا، والثقة المفرطة بالنفس، حيث إن لدى النرجسي شعورًا مبالغًا فيه بأهميته الذاتية...**

معقد يتسم بصلابة في المظهر وهشاشة في الجوهر. وفي الأدبيات الأكاديمية، يُنظر إلى النرجسي من خلال طيف يبدأ من سمات شخصية عادية وينتهي باضطراب مرضي. وأبرز ما يميز أصحاب الشخصية النرجسية هو تضخم الأنا، والثقة المفرطة بالنفس، حيث إن لدى النرجسي شعورًا مبالغًا فيه بأهميته الذاتية، حيث يعتقد أن إنجازاته ومواهبه فريدة من نوعها وتستحق التبجيل، حتى دون وجود أدلة واقعية كافية تدعم ذلك، ولعل النرجسيين هم المعنيون في قول الله ﷻ: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.﴾[٤]

كذلك إن النرجسي يفتقر إلى التعاطف مع الآخرين، أي إنه مُجرَّد من خُلُق المواساة، ليس عن تجاهُل، وإنما عن قصور فهم وإدراك، وهذه هي الصفة الأكثر تأثيراً في علاقات النرجسي الاجتماعية؛ فالنرجسي غير قادر على فهم أو مشاركة مشاعر الآخرين، ويرى احتياجاتهم كمصدر للإزعاج أو كأدوات لتحقيق غاياته. كما أنَّ لدى النرجسي أيضا شعورًا دائمًا بالاستحقاق، فلديه توقعات غير منطقية بالحصول على معاملة خاصة، أو الامتثال التلقائي من الآخرين لرغباته.

وبوجه عام، فخلف قناع الثقة المفرطة ذاك، تقبع هشاشة نفسية، ويختبئ تذبذب في تقدير الذات، مما يجعل النرجسي حساسًا بشكل مفرط تجاه النقد، وغالبًا ما تكون ردة فعله عنيفة تجاه من يوجه له أي نقد، ولو كان نقدًا بناءً.

ومن المهم التنبيه إلى أن النرجسية، كطبع، ليست سوى سمة شخصية عامة تقع ضمن الطيف الطبيعي للغرور والأنانية، في حين أن اضطراب الشخصية النرجسية والمعروف اختصارًا بـ NPD هو أحد اضطرابات الشخصية النفسية المتعدّدة، ويظهر بصورة حالة عقلية يعاني فيها الشخص من إحساس متضّخم بأهميته، وحاجة عميقة إلى جذب الاهتمام الآخرين. فضلًا عن ذلك نجد أن الشخص النرجسي غالبًا ما تكون علاقاته متوترة مع الجميع ويفتقر إلى مشاعر التعاطف تجاه الغير. فهذا الاضطراب إذن حالة نفسية مرضية مزمنة شديدة الوطأة، تؤثر سلبًا في الحياة العاطفية والأسرية والمهنية للمصاب به. بيد أنه ليس كل من تظهر عليه سمات نرجسية يُعد مصابًا بالنرجسية المرضية؛ فإن ما يميّز السلوك النرجسي العادي عن النرجسية السريرية هو الشدة، والتكرار، والاستمرارية في إظهار هذه السمات. فبعض الناس قد يُظهرونها أحيانًا وبدرجة خفيفة، بينما يستخدم النرجسي المرضي سماته النرجسية بصورة مدمّرة، وبأساليب غير صحية، لفرض التفوق وحماية صورته الذاتية الإيجابية عبر استغلال الناس والعلاقات.

وإمعانًا في بيان الفرق بين النرجسية الطبعية واضطراب الشخصية النرجسية، يمكن سوق مثالين اثنين من الحياة اليومية لحالَتين قد تُظهران نزعة نرجسية طبيعية دون أن تكونا نرجسية مرضية:

المثال الأول: زميلة تحصل على ترتيب متقدم في دراستها، فتتباهى بإفراط سعيًا لجذب الانتباه والإعجاب والمديح لجهدها. وهي غارقة في الإعجاب بنفسها، تُظهر تعاليًا على أقرانها، وتسخر منهم بازدراء، وتطلق تعليقات تحطّ من قدر أصدقائها وزملائها. لكن بعد أن تتلقى ملاحظاتهم، تدرك مدى خطئها، وتشعر بالأسف على تصرّفها المتعجرف وتعتذر، فيعود وضعها إيجابيًا مع من حولها.

والمثال الثاني: موظف يُشاد بعمله علنًا، وبعد أيام قليلة يبدأ في التصرّف بغرور وأنانية، ويُظهر شعورًا متضخمًا بالتفوّق. غير أنه خلال أسبوع أو أسبوعين، ومع زوال نشوة العظمة الظرفية والشعور المؤقت بالاستحقاق، يعود إلى العمل بروح تعاونية.

على الجانب الآخر، فإن المريض المُصنَّف مصابًا باضطراب الشخصية النرجسية يخلق غالبًا، عن قصد وإرادة، بيئات سامة وعلاقات مؤذية بغرض استغلال الآخرين لخدمة مصالحه الذاتية غير المعقولة، وإشباعًا لشعوره المتضخم بالعظمة، فضلًا عن اتصافه بسمات مثل التفوق الزائف، والتعالي المتغطرس، وانعدام الحساسية دون أي ندم أو شعور بالذنب. بينما السلوك النرجسي الناتج عن ظرف معيّن يكون نرجسية ظرفية مكتسبة، وسرعان ما تزول بزوال المؤثِّر، فهي ناتجة عن محفّزات عارضة مثل الشهرة أو الثروة أو السلطة، وليست اضطرابًا في الشخصية.

**ضرورة أن نكون نرجسيين في وقت ما!**

العجيب في أمر النرجسية، وبعض اضطرابات الشخصية الأخرى، أنها تبدأ مع كل إنسان بمجرَّد ولادته، وحينها لا تكون مَرضًا بحال من الأحوال، بل إنها ضرورة لازمة لبقاء الوليد على قيد الحياة؛ ففي عام ١٩٨٦م، وفي ثنايا بيانه الفريد للفرق بين الحالات الطبعية والأخلاق، ذكر سيدنا المسيح الموعود عليه السلام ما مُلخَّصه أن الحالات الطبعية، أي تلك التي تكون مكنونة في فطرة الإنسان من لحظة ولادته، مصدرها النفس الأمارة، ويندرج تحت تلك الحالات الطبعية جميعُ المَلَكَاتِ الطبعية والميول والرغبات الجسدية. ونفس هذه الحالات الطبعية تتحول إلى أخلاق فاضلة عند صدورها بإرادة صاحبها، مرتبةً معدلةً في محلها الأنسب.[٥]

فبتطبيق بيان سيدنا المسيح الموعود عليه السلام على موضوع المقال، نجد أن النرجسية تُعد مَلَكَةً طبعية مكنونة في فطرة الوليد؛ لتعينه على الحياة، فلا يمكن أن يُتوقَّع من طفل رضيع أن يكون متصفا بالإيثار والتفاني، بل إنَّ مثل هذا التوقع سيُعدُّ ضربا من الحُمق! بعد بيان المسيح الموعود عليه السلام بقرابة عقدين من الزمان، توصَّل سيغموند فرويد رائد التحليل النفسي الكلاسيكي عام ١٩١٤م إلى أنَّ النرجسية تولد مع الوليد كملكة طبعية، وأعطى لها مُصطلحًا علميا، هو «النرجسية الأولية»، وهي مرحلة طبيعية وضرورية في نمو الطفل الرضيع، حيث يوجه كل طاقته النفسية نحو ذاته لإشباع حاجاته الحيوية، معتقدًا أنه مركز الكون.[٦] فلا يُتوقَّع لهذا الوليد أن يحيا ما لم يتصف بالصفات النرجسية المذكورة؛ فالنرجسية الأولية تلك تُعدُّ في هذه الحال صفة ملائكية بكل المقاييس، غير أن هذا الملاك سرعان ما يتحول شيطانا في سن البلوغ، حيث ترتد هذه الطاقة من الأشياء الخارجية وتعود لتتركز في الأنا مرة أخرى، وهنا تُعتبر حالة مرضية أو اضطرابا.[٧]

**كيف يستحيل الطبع النرجسيُّ شيطانا؟!**

اضطراب الشخصية النرجسية مزيج معقد من العوامل الوراثية والبيئية. فمن حيث العوامل البيولوجية والوراثية، تُظهر الأبحاث أن الأشخاص المصابين باضطراب الشخصية النرجسية لديهم مادة رمادية أقل في أجزاء من الدماغ المعنية بمعالجة التعاطف، وتنظيم العواطف، والمعلومات الاجتماعية، واتخاذ القرارات. تساعدنا هذه المناطق على فهم مشاعر الآخرين والتصرف بحذر واحترام تجاه مشاعر الآخرين ورغباتهم واحتياجاتهم.

علاوة على ذلك، هناك أدلة على أن اضطراب الشخصية النرجسية وراثي جزئيًا، أي أنه ينتقل ضمن العائلات. الأشخاص المصابون بهذا الاضطراب أكثر احتمالًا أن يكون لديهم والد أو قريب يعاني من حالة مشابهة. وجدت دراسة كبيرة أن التوائم المتطابقة أكثر عرضة بكثير من التوائم غير المتطابقة لتلبية معايير اضطراب الشخصية النرجسية.

كذلك فإن للبيئة التي ينشأ فيها الطفل دور كبير في تطور اضطراب الشخصية النرجسية. فالتفاعلات والتوقعات والتفسيرات والإيماءات الأبوية لها قدرة هائلة على تشكيل مواقف الطفل واهتماماته وأنماط تفكيره وتقديره لذاته، وكما قال ﷺ: «كلُّ مولودٍ يولَدُ على الفطرةِ فأبواه يُهوِّدانِه أو يُنصِّرانِه أو يُمجِّسانِه»[8]، أي إن العوامل البيئية تُسهم بصورة واضحة

في رسم ملامح شخصية الإنسان في مرحلة البلوغ؛ فالتجارب المبكرة في الطفولة، مثل المبالغة في تقييم قدرات الطفل ومدحه المفرط من قبل الأهل الذين يعتقدون أن طفلهم مميز ويستحق ما لا يستحقه الآخرون، تؤدي إلى ارتفاع مؤشرات النرجسية لديه مع مرور الوقت. فالأطفال الذين يُثنَى عليهم باستمرار، فيُقال لهم أنهم مميزون، قد يصدقون ذلك دون فهم الشروط والمتطلبات اللازمة ليكونوا كذلك. وعلى النقيض من ذلك، فإن الأطفال الذين ينشؤون في بيئة إهمال عاطفي مستمر ونقد لاذع قد يطورون النرجسية كآلية دفاعية.

**مأساة الارتباط بشخص نرجسي**

إن إدارة علاقةٍ وثيقة مع شخصية نرجسية تشبه السير في حقلٍ من الألغام العاطفية؛ حيث تبدأ المأساة ببريقٍ خاطف، وتنتهي بعزلةٍ موحشة. يُسَخِّر النرجسي ما لديه من كاريزما طاغية كطُعم يجذب به الشركاء، فيبدو في أول اللقاء وكأنه الفارس المخلص أو زوج الأحلام أو فتاة الأحلام، مما يمهد الطريق لارتباط عاطفي سريعٍ وعاصف. وغالبًا ما تقع النفوس المتعبة، التي عانت من صدماتٍ غابرة، ضحية هذا البريق. ومع انقشاع سَكْرَةِ البدايات، يبدأ الوجه القبيح في الظهور؛ حيث يصطدم الشريك الضحية بالحقيقة المُرَّة، وهي عجز النرجسي عن التعاطف. بالنسبة للنرجسي، ليست العلاقة رباطا مقدسا، بل هي صفقة تبادلية بحتة؛ حيث يفتقر هؤلاء إلى القدرة على خوض تجربة الحب الحقيقي القائم على المساواة والثقة. وبدلًا من السكينة، يجد الشريك الضحية نفسه عالقًا في دوامة من التلاعب النفسي، وتهميش المشاعر، واللوم المستمر، حيث تُنتهك خصوصية تجاربه وتُهمل آلامه. وما إن يرتوي النرجسي من جرعات الاهتمام، أو حين تلوح في الأفق بوادر متطلبات الشريك من الحميمية الحقيقية والمواساة، الأمر الذي يخشاه النرجسي ويتجنبه، حتى يتسلل الملل إلى قلبه، لتبدأ رحلة قاسية من الإساءة العاطفية والمادية والفكرية. يسعى فيها النرجسي لعزل شريكه عن العالم، فيقصيه عن الأصدقاء والأهل ليحكم قبضته عليه في بيئة عدائية موحشة.

إن هذه الإساءة غالبًا ما تظل طي الكتمان، لا لبؤس الضحية فحسب، بل لأن استيعاب أبعاد هذه الجريمة النفسية قد يستغرق سنوات طويلة، يحاول فيها الناجي لملمة شتات روحه المبعثرة، وإعادة بناء أنقاض تقديره لذاته الذي سحقه غرور الآخر النرجسي.

**مضاعفات وإدارة اضطراب الشخصية النرجسية**

يتقاطع اضطراب الشخصية النرجسية بشكل معقد مع مجموعة واسعة من الاضطرابات، كالاكتئاب والقلق واضطرابات الشخصية الأخرى، كالشخصية الحدية أو المعادية للمجتمع. ويزداد الأمر خطورة عند تداخل هذه الحالات مع اضطراب تعاطي المواد المُخدِّرة، وصولًا إلى ارتفاع احتمالات التفكير في الانتحار أو الإقدام عليه نتيجة اليأس الذي يسببه الشعور بالفشل أو الرفض الاجتماعي.

وبما أنَّ إدراك المرض يعد أول السبيل إلى الشفاء، من هنا ندرك صعوبة علاج اضطراب الشخصية النرجسية، فالواقع أن المسار العلاجي لهذا الاضطراب يواجه عقبةً كؤودًا، تتمثل في امتناع النرجسي عن طلب المساعدة، لاعتقاده الراسخ ببراءته من العيوب، ونظرته السلبية إلى العلاج النفسي بوصفه مُهددا لصورتهم المثالية. وغالبًا ما يكون لجوء النرجسي إلى الطبيب النفسي مجرد رد فعل اضطراري نتيجة أزمات حياتية طاحنة، مثل فقدان العمل أو القضايا القانونية، أو بسبب تفاقم أعراض اضطرابات متزامنة كالأرق والاضطراب ثنائي القطب.

وتتطلب إدارة هذه الحالة نهجًا علاجيًا متكاملًا يبدأ بالتدخل الدوائي للسيطرة على الأعراض المصاحبة، حيث تُستخدم مضادات الاكتئاب والقلق ومنظمات المزاج لتحقيق الاستقرار النفسي. ويمثل التثقيف والوعي ركيزة أساسية من خلال العلاج النفسي المتخصص، لاسيما العلاج المركّز على الأنماط، الذي يعمل على تفكيك المعتقدات الجوهرية الضارة واستبدالها بإستراتيجيات تأقلم أكثر صحة وواقعية. وتمتد الحلول لتشمل العلاج الجماعي والعائلي، الذي يلعب دورًا حيويًا في تطوير المهارات الاجتماعية

للنرجسي وتنمية قدرته على مواساة الآخرين. وتساعد هذه الجلسات في تعزيز الوعي بالذات وتلقي الملاحظات البنَّاءة من المحيطين، مما يفتح باب الأمل للنرجسي وعائلته في تجاوز حدة الأعراض وتحسين جودة الحياة المشتركة.

**استراتيجيات الدعم النفسي للمحيطين بشخص نرجسي**

المحيطون بشخص نرجسي غالبا ما يعيشون مأساة مزمنة، لذا فهم جديرون بنوع خاص من الرعاية، شأنهم في ذلك شأن المحيطين بشخص مصاب بمرض عضوي مُعدٍ. وتبدأ رحلة رعاية المحيطين بالنرجسي بالتوعية المعرفية عبر فهم سمات اضطراب الشخصية النرجسية.من الناحية التكتيكية في التعامل اليومي، يُنصح بتبني إستراتيجية الصخرة الرمادية عبر البقاء هادئين ومحايدين لتفتيت محاولات التلاعب النفسي، وتجنب الانخراط في الجدال العقيم مع النرجسي، الأمر الذي لا يزيد الوضع إلا سوءًا.

وعلى الصعيد الروحي والقيمي، يمثل التمسك بالقيم الإسلامية حصنًا منيعًا ضد آثار النرجسية؛ فمن خلال تعزيز قيم التواضع، والمواساة، والافتقار إلى الله، يتم التصدي لأمراض القلوب كالكِبْر والغرور. كما أن الممارسات الذهنية الروحية، كالتدبر والتفكر والذكر، تساعد في بناء شخصية متوازنة تميز بين حب الذات المشروع وبين الأنانية المفرطة، مما يخلق بيئة قائمة على الاحترام المتبادل والسكينة.

**النرجسية وباء العالم الرقمي**

وفقًا لدراسة أجريت في الولايات المتحدة، فإن ٦٪ من الأمريكيين نرجسيون. ومع ذلك، هناك خمس دراسات أخرى على الأقل استخدمت معايير أكثر صرامة ولم تستطع العثور على حالة واحدة للنرجسية، حتى عند استخدام عينات كبيرة جدًا. وترى طائفة من المختصين أن الحالة أكثر شيوعا مما نظن، وأن اضطراب النرجسية بات وباءً، ويوجد الكثير من تلك الحالات حولنا بكل تأكيد، ومن المؤكد أن وسائل التواصل الاجتماعي تشجع السلوك النرجسي.[٩]

إننا إذا ألقينا نظرة سريعة على ما يجري في وسائل التواصل الاجتماعي، فقد نصل إلى الاعتقاد بأن النرجسية غزت العالم، على الأقل العالم الرقمي. ويتفق خبراء الصحة النفسية على أن النرجسية باتت أكثر انتشارا ووضوحا في الحياة اليومية. وليس من الغريب الانتشار الواسع للصور التي يلتقطها الأفراد لأنفسهم selfie في مواقع التواصل الاجتماعي حتى بات أمرا اعتياديا بين أبناء الجيل الحالي.[١٠]

فختامًا، تظل الاستعانة بالخبرات المهنية من أطباء ومعالجين نفسيين متخصصين في اضطرابات الشخصية خطوة حاسمة لتجاوز هذه المحنة. ورغم أن العيش مع شخصية نرجسية قد يكون تجربة محبطة، إلا أنها فرصة لإعادة اكتشاف الهوية والهدف من الحياة، فبينما قد لا نملك السيطرة على مشاعرنا تجاههم، نملك دائمًا القدرة على التحكم في ردود أفعالنا، وهو المفتاح الحقيقي لتغيير الواقع المعاش.

**الهوامش:**

Dictionary of Psychology, (narcissism), 1

٢ – الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية – الطبعة الخامسة (DSM–5)، الجمعية الأمريكية للأطباء النفسيين، ٢٠١٣.

3 - Britannica, Narcissus, Feb. 20, 2026.

٤ – (آل عمران: ١٨٩)

٥ – يُنظَر: مرزا غلام أحمد القادياني، فلسفة تعاليم الإسلام، الطبعة العربية الثالثة، ص٢١–٢٢، الشركة الإسلامية المحدودة، لندن، ٢٠١١م.

6 - Sigmund Freud, On Narcissism: An Introduction, pages:73–75, The Hogarth Press (English Standard Edition), 1975.

٧ – نفس المرجع السابق

٨ – صحيح ابن حبان (١٢٩)

٩ – هيئة الإذاعة البريطانية (BBC)، تقرير بعنوان «ما هي النرجسية؟ ولماذا تزداد انتشارا؟ وهل أنت مصاب بها؟»،

# العطاء يرزقك الثراء

في عالمٍ تُعرَّف فيه الثروة بقدرة الإنسان على تكديس المال وادخاره والتوسع في الامتلاك، فمنذ الصغر نتعلم أن المال ينمو بالحساب الدقيق، والاستثمار الحذر، والتخطيط المالي الصارم. غير أن تأملاً أعمق في التجربة الإنسانية، وفي نتائج البحوث الحديثة في علم النفس، يكشف لنا حقيقة مختلفة: الثروة لا تنمو بالاحتفاظ بها فحسب، بل تنمو أيضا بتداولها. فالعطاء، في جوهره، ليس مجرد فعل أخلاقي نبيل، بل هو في كثير من الأحيان استثمار إنساني واجتماعي ونفسي تتجاوز عوائده الحسابات المادية.

**علم السخاء: حين تلتقي السعادة بالكرم**

تشير دراسات عديدة في الاقتصاد السلوكي إلى أن السعادة الإنسانية لا ترتبط بالمال بقدر ما ترتبط بكيفية استخدامه. فقد توصلت دراسة أجراها باحثون من كلية "هارفارد" للأعمال عام ٢٠٠٨ إلى نتيجة لافتة:

الأشخاص الذين أنفقوا المال على الآخرين شعروا بسعادة أكبر من أولئك الذين أنفقوه على أنفسهم.[١]

والمثير في هذه النتيجة أنها ظهرت لدى المشاركين بغض النظر عن مستوى دخلهم. فالأثر الإيجابي للعطاء لا يعتمد على حجم المبلغ، بل على المعنى الذي يحمله الفعل ذاته.

أما علم الأعصاب فقد قدم تفسيرًا بيولوجيا لهذه الظاهرة. فقد أظهرت دراسات التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي أن السلوك الإيثاري يُنشّط في الدماغ المناطق نفسها المرتبطة بالمكافأة واللذة. وعندما يقوم الإنسان بعمل خيري، تنشط مراكز عصبية في المخ مثل المخطط البطني والقشرة الجبهية الحجاجية، وهي مناطق تنشط أيضًا عند تلقي المكافآت المالية.[٢] وكأن الدماغ البشري مبرمجا، في عمقه البيولوجي، على حقيقة بسيطة:

الإنسان يشعر بالثراء حين يَمنح، لا حين يكتفي بالأخذ.

غير أن السعادة ليست إلا الوجه الأول لهذه المعادلة. فالكرم لا يمنح شعورًا بالرضا فحسب؛ بل قد يكون أيضًا عامِلاً خفياً في النجاح الاجتماعي والاقتصادي.

**الكرم ورأس المال غير المرئي**

تشير دراسات اجتماعية واقتصادية إلى أن الكرم يساهم في بناء ما يسميه علماء الاجتماع رأس المال الاجتماعي: شبكة العلاقات والثقة والتعاون التي تحيط بالفرد داخل مجتمعه.

وقد بيّنت أبحاث أجرتها جامعة "نوتردام" ضمن مبادرة "علم الكرم" أن الأشخاص الذين يلتزمون بالعطاء المنتظم غالباً ما يطورون عادات مالية أكثر انضباطاً، مثل التخطيط للميزانية والادخار المسؤول. ويبدو أن الانضباط المرتبط بالعطاء ينعكس تلقائياً على بقية السلوك المالي.

إلى جانب ذلك، فإن الكرم يعزز الثقة المتبادلة ويقوي الروابط الإنسانية. وفي عالم الأعمال والمجتمع، ليست الفرص دائماً نتاج الحسابات المجردة، بل كثيراً ما تنشأ من شبكات الثقة والسمعة الطيبة والعلاقات الإنسانية المتينة.

وهكذا يصبح العطاء، دون أن يقصد صاحبه ذلك بالضرورة، استثماراً في شبكة غير مرئية من العلاقات والفرص.

تونس

مريم شرف الدين

كما أن الانخراط في أعمال الخير يرسخ لدى الإنسان ما يمكن تسميته بعقلية الوفرة. فبدلاً من النظر إلى العالم بوصفه ساحة تنافس على موارد محدودة، يبدأ الإنسان في رؤية الحياة باعتبارها مجالاً للتكامل والتعاون. وهذه النظرة بدورها تقلل من القلق المالي وتفتح المجال أمام قرارات أكثر شجاعة وتوازناً في العمل والاستثمار.

**الإسلام واقتصاد البركة**

غير أن هذه الحقيقة التي تكتشفها الدراسات الحديثة ليست جديدة على الوعي الديني، ولا سيما في التصور الإسلامي للمال والثروة.

فالقرآن الكريم يقدم صورة بليغة للعطاء حين يقول الله تعالى:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ.﴾[٣]

في هذا التصوير القرآني العجيب يتحول العطاء إلى بذرة، والبذرة إلى سنابل، والسنابل إلى حصاد مضاعف. إنها لغة رمزية تشير إلى أن المال الذي يخرج في سبيل الخير لا يضيع، بل يتحول إلى أثر متنامٍ في حياة الفرد والمجتمع.

وقد عبّر النبي محمد ﷺ عن هذه الحقيقة بكلمات موجزة بالغة العمق حين قال: "ما نقصت صدقة من مال."[٤]

وهو قول يبدو للوهلة الأولى متناقضاً مع الحسابات المادية المباشرة. غير أن التجربة الإنسانية – قديماً وحديثاً – تشير إلى أن المال الذي يُعطى لا يختفي؛ بل يتحول إلى أشكال أخرى من الزيادة: زيادة في البركة، وفي العلاقات، وفي الطمأنينة، وأحياناً في الرزق نفسه.

ومن هنا لا يكون نظام الزكاة في الإسلام مجرد ممارسة فردية، بل نظاماً اقتصادياً واجتماعياً يحافظ على حركة المال داخل المجتمع. فالمال، في الرؤية الإسلامية، يشبه الماء الجاري: إذا تدفق بقي نقياً نافعاً، أما إذا ركد فقد صفاءه وفسد.

يمكن فهم العلاقة بين العطاء والازدهار من خلال ما يشبه دورة متكاملة: العطاء يولد السعادة، والسعادة تعزز الدافعية والعمل، والعمل يفتح أبواب النجاح، والنجاح يتيح مزيدًا من العطاء.

وهكذا تنشأ حلقة إيجابية تعيد تشكيل علاقة الإنسان بالمال وبالحياة نفسها. فبدلاً من أن يعيش في خوف دائم من النقص، يبدأ في تبني عقلية الثقة والوفرة. ومع الوقت يصبح العطاء جزءاً من شخصيته، لا مجرد فعل عابر.

وفي هذه الحالة لا يعود المال مجرد وسيلة للاستهلاك، بل يتحول إلى أداة لإنتاج المعنى والأثر.

**ثروة الكرماء**

لقد علمتنا الحضارة الحديثة أن الثراء يتحقق بالجمع والتكديس. لكن التاريخ، والعلم، والتجربة الروحية، تشير إلى حقيقة أعمق: الثروة الحقيقية لا تنمو بالاحتفاظ بها فقط، بل بالحركة التي تخلقها في العالم. فالمال الذي يُحبس يركد، أما المال الذي يُعطى فإنه يتحول إلى حياة.

ولذلك فإن الأفراد والمجتمعات التي أدركت سر الازدهار لم تنظر إلى العطاء بوصفه خسارة، بل بوصفه استثمارًا في الإنسان وفي المجتمع. فليست الثروة ما نحتفظ به لأنفسنا،بل ما نتركه من أثر في حياة الآخرين. ولا شك أن العطاء يمنحك الثراء.

**الهوامش:**

١. Dunn, E. W., Aknin, L. B., & Norton .M. I. (2008). Spending money on others promotes happiness ,

٢. Decisions about charitable donation

٣. (البقرة: ٢٦١)

٤. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع.

altaqwa.net
الجن بين الحقيقة والخرافة
أغسطس 2022
سبتمبر 2022
أكتوبر 2022
نوفمبر 2022
ديسمبر 2022
مارس 2022
إبريل 2022
مايو 2022
يونيو 2022
يوليو 2022
أكتوبر 2021
نوفمبر 2021
ديسمبر 2021
يناير 2022
فبراير 2022

# AL-TAQWA

Monthly Islamic Magazine Vol. 39- Issue 1, May 2026

www.altaqwa.net